الأسبوع الأدبي
www.awu.sy
جريدة تعنى بشؤون الأدب والفكر والفن تصدر عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق — 12 صفحة
العدد: «1816» الأحد 2023/4/30م - 10شوال 1444 هـ — 200 ل.س

لوحة للفنان التشكيلي عامر الخطيب

لوحة للفنان التشكيلي غسان قنديل

الأسبوع الأدبي — الافتتاحية

كتبها: د. عاطف البطرس

النقد المزدوج من الذات إلى الجماعة

لا ترتهن العملية النقدية للأحداث والأزمات والمنعطفات الحادة، فهي فعل دائم، فكل فكرة أو رأي أو قرار، لا بد أن يعرض على مشرحة النقد، توخياً لتجنب الأخطار المحدقة بالأحكام النقدية بسبب التحيزات المسبقة التي تتشبع بها الذائقة مهما ادعت الحياد والموضوعية، فالنقد عملية ذاتية وموضوعية في وقت واحد.

الممارسة النقدية رياضة فكرية ذهنية مسؤولة، فمن لا يستطع وضع نفسه وأفكاره أمام امتحان النقد، فلا يحقّ له أن يتوجه به إلى الآخرين، مُطلقاً سهامه عليهم، فالممارسة النقدية تستدعي نقداً مزدوجاً، عين على الذات وعين على الآخر.. بمعنى أن نجعل أفكارنا وذواتنا، بوصفها متشكلاً تاريخياً ومعرفياً، موضوعاً للنقد، مع الاعتراف بأن الذات الإنسانية (الشخصية) تقوم على أساس التناقض واختلاف المكونات التي تجد في رحم ذواتنا بنية خصبة للتعايش والصراع، مشكّلة حالة من الانسجام والتوافق، مع الاستعداد الدائم لقبول المتغيرات داخل الشخصية وخارجها، والسؤال: لماذا نقبل الاختلاف والتناقض داخل الشخصية الواحدة، ونرفضه ونحاصره ونصادره في المجتمع؟ أوليس المجتمع عبارة عن محصلة تفاعل الذوات الإنسانية المشكلة له؟ ولماذا نصرّ على صراع المتناقضات ونعطل مبدأ الوحدة الذي هو أساسها، تلك الوحدة التي تبنى على المشترك الإنساني، ودوائر الاتصالات ونقاط التقاطع؟

مما لا شك فيه أن الإنسان، عندما يعيد النظر ببنيته الذاتية ومكوناتها، بالتمحيص والنقد، يتوخى تجاوز نواقصها وتصحيح ضعفها، وصولاً بها إلى التفاعل والتكامل المنشود، لا يقصد الهدم والإلغاء والتحطيم والتجريح، فلو مارسنا رياضة النقد بهذا المعنى على الآخرين، وبالطريقة نفسها وللغايات والأهداف ذاتها، التي نتوخاها لأنفسنا، لتكوّنت لدينا أرضية من التسامح والتعاطف مع الآخرين ومع أفكارهم، وكأنها أفكارنا ومعتقداتنا، وبذلك نضع أساساً راسخاً ومتيناً من النقد الرحيم المنصف، الذي يؤهل نفوسنا لولادة طبيعة ثانية تنمو وتزدهر بمقدار تعاطفنا مع المختلف الذي هو في المعيار الأخير تجلٍّ للأنا، كما أن الأنا ليست إلا تمظهراً للآخر فينا، فتغيّر فكرة أو رأي أو موقف وتبدُّله سيؤدي بفعل التراكم الكمي إلى تحول نوعي في بنية الشخصية الإنسانية، ومن ثم في طريقة تفكيرها.

إعادة النظر في المسلمات وما استقر من أفكار ورؤى، والابتعاد عن تأبيد القناعات، وتحريرها من المطلقات القارّة، مع القناعة الراسخة بأن كل فكرة قابلة للتطور والتبدل والانزياح، وفق قانون (الثوابت في سياق المتغيرات)، تساعد الفكر على التحرر وتمهّد له تقبّل الجديد، وتجعل منه أرضاً طيبة لتعايش المختلف والمغاير، وصولاً إلى ممارسة الحياة على أرضية (شعرية الاختلاف).

عملية النقد المستدام تحرّر الشخصية الإنسانية من وهم امتلاك الحقيقة، وتبعد الذات الإنسانية عن مرض تضخم (الأنا)، والمبالغة في موقعها وفاعليتها، التي لا يمكن أن توجد بمعزل عن حالة التفاعل مع الآخرين، والاستفادة من خبراتهم وتجاربهم، والموقف من الأفكار والآراء والمعتقدات المغايرة، ليس، ولا ينبغي أن يكون، موقفاً من الأشخاص الذين يحملونها.

جدل ثلاثية النقد: المزدوج، المستدام، الرحيم، وتخصيبها الخلاق في وحدة الشخصية الإنسانية، وتفاعلها المنتج بمجابهة المماثلة بالتفرّد، والواحد بالمتعدد، والانغلاق بالانفتاح، يبني شخصية ناقدة متّزنة ومتوازنة، لا تشعر بالدونية والانسحاق أمام الآخر، كما أنها، في الوقت نفسه، لا تؤدي إلى الاستعلاء وتضخم الأنا، المفضي إلى التقليل من أهمية تجارب الآخرين والهجوم على منجزاتهم، بقصد إقصائها وتهميشها، فالذي لا يبتهج ويفرح لإنجاز الآخرين، يكون فرحه وابتهاجه بإنجازاته منقوصاً.

من سِمات الجمال في لغة الضاد

كتب: د. سام عمار

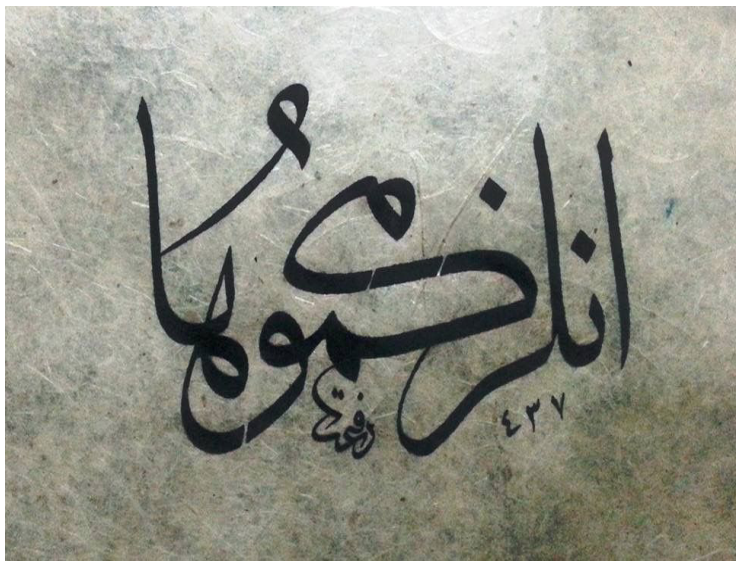

من الظواهر الجمالية المبدعة في لغتنا العربية: ظاهرةُ اشتمال نظامها على عدد كبير من الكلمات القائمة بنيتُها الصغرى على حرف واحد، وهذا الحرف هو بالتأكيد حرفُ معنًى، وليس المقصود به الشكلَ الماديَّ الذي يجسد خطِّيّاً الصوت المنطوق، والكلمة لدى النحويين: اسمٌ أو فعلٌ أو حرف، وهي في حدها الأدنى بنيةٌ صغرى نعرّفها بأنها: "أصغر وحدة لغوية حاملة لمعنًى في الجملة"، ويقابلها البنيةُ الكبرى المكونة منها، ومن الزوائد كلهًا (وهي أصلاً وحدات لغوية صغرى حاملة لمعنى) المضافة إليها.

ومثال البنية الصغرى القائمة على ثلاثة أحرف إن كانت اسماً (سيْف)، وإن كانت فعلاً (سَمِعَ)، وإن كانت حرف معنًى (على)، ومثال البنية الصغرى التي قوامها حرف واحد إن كانت اسماً: (الضمائر المتصلة كلها)؛ وإن كانت فعلاً: الأمر من الثلاثي المجرّد اللفيف المفروق: (إ، من وَأَى)؛ وإن كانت حرفاً: (الباء الجارّة)، ومثال البنية الكبرى إن كانت نواتُها فعلاً (أَسْدَيَا)، وإن كانت نواتُها اسماً (نصيحَتَهُما)؛ وإن كانت نواتُها حرفاً (إليه)، من جملة: "أَسْدَيا إليه نصيحتَهُما".

وهذه الوحدات اللغوية الصغرى الحاملة لمعنى القائمة على حرف واحد ثلاث فئات: أولاها: الأسماء، وهي: الضمائر المتصلة كلَّها في محل رفع كانت أو في محل نصب أو جر؛ وثانيتها: حروف المعاني التي تبلغ، إن صُنفت باعتبار شكلها ورسمها، ثلاثةَ عشرَ حرفاً، وهي: الهمزة والألف والباء والتاء والسين والفاء والكاف واللام والميم والنون والهاء والواو والياء، وإذا صُنِّفت باعتبار وظيفتها في الكلام بلغت ما يزيد على أربعين نوعاً، وسنورد مثالاً واحداً لتنوع تسميات حرف المعنى الواحد بتنوع وظائفه، هو الواو التي تأتي للعطف أو الاستئناف أو الاعتراض أو القسم أو الحال أو المعية (انظُرْ: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام، والأزهيَّة في علم الحروف للهَرَويّ).

وقد أضاف الباحث بنتيجة الاكتشاف، إلى وظائف حرف الواو، وظيفة سابعة لم ترد في الكتابين السابقين، ولا في سواهما، هي: الوصل في: «أَنُلْزِمُكُمُوهَا» من قوله تعالى: «أَنُلْزِمُكُمُوهَا وأنتم لها كارهون» (سورة هود، الآية 28).

ومن المفيد هنا أن نضيف من وجهة نظر منهجية شكلية محضة (الحصر الشامل لوظائف الواو) وظيفتين أخريين: ثامنةً، وهي: مجيئُها علامةَ رفع للأسماء الخمسة المضافة إلى غير ياء المتكلم، وتاسعةً، وهي: مَجيئُها علامةَ رفعٍ لجمع المذكر السالم.

والوحدات المعنوية الصغرى القائمة بنيتُها على حرف واحد (الضمائر المتصلة وحروف المعاني) غَيرُ قابلة للاستعمال مستقلةً في نظام اللغة العربية، ولا تُستَعْمَل إلا متصلة بالكلمة الأصل، في شكل لواحق إن كانت أسماء (ضمائر متصلة)؛ أو سوابق، أو لواحق، أو سوابق ولواحق معاً، إن كانت حروفاً، ومن أمثلتها: هاء الغائب، والياء: علامة نصب المثنى في (صديقيه)، وهاء الغائب و(ما) المثنى في (أهداهُما)، وهاء الغائب في (كتابه)، وألف الاثنين وهاء الغائب في (فشكراه)، من جملة: «زار سعيدٌ صديقَيْه وأهداهُمَا كتابَهُ، فشكراهُ بمودّة»، وهي كلها لواحق، وأمثلة السوابق الفاء في (فشكراه)، والباء الجارة في (بمودة) من الجملة ذاتها، وأمثلة الحروف السوابق واللواحق معاً: همزة الاستفهام، وميم جمع الذكور، والواو الوصلية، و(ها) المثنى في: أَنُلْزِمُكُمُوهَا».

ثَمّ إنّ اثنين وعشرين حرفاً من حروف المعاني، تأتي، باعتبار وظيفتها، لواحق، وهي: الألف الفارقة، وألف الاستغاثة، وألف التعجب، وألف الندبة، وألف الفصل بين نوني النسوة والتوكيد في المضارع المؤكَّد بالنون، وألف رفع المثنى، وواو جمع المذكر السالم، وياء نصبهما وجرهما، ونون الوقاية، ونونا التوكيد: الخفيفة والثقيلة، ونون رفع الأفعال الخمسة، والنون العائضة عن التنوين في الاسم المفرد، التي يُختَم بها المثنى وجمع المذكر السالم، وميم جمع الذكور، وهاء السكت، والياء والكاف والهاء، التي تختم ضمائر النصب المنفصلة، والألف والواو والياء (علامات إعراب الأسماء الخمسة المفردة غير المضافة إلى ياء المتكلم)، والواو الوصلية، أما باقي حروف المعاني فيأتين سوابق.

أما حروف المعاني التي قد تأتي سوابق في بنية واحدة كبرى فقد يصل عددها الأقصى إلى أربعة، مثل: (همزة الاستفهام، والفاء الاستئنافية، والباء الجارّة، وها التنبيه) في البنية الاسمية الكبرى (أفَبِهذا) من قوله تعالى: «أفَبِهذا الحديث أنتُم مُدْهنُون» (سورة الواقعة، الآية، 81).

واعتبارُ حروف المعاني هذه جميعها جزءاً من الكلمة في بنيتيها الصغرى والكبرى حقيقةٌ غَيرُ قابلة للنقاش، وأدلتنا بخصوصها كثيرة، منها:

إن حروف المعاني التي تأتي لواحق تتّصل كلُّها بالكلمة، وأمثلة ذلك: الياء، والكاف، والهاء في أواخر ضمائر النصب المنفصلة؛ وأَلِفَاتُ نداء التعجب، والاستغاثة، والنُّدْبة؛ والألف الفارقة؛ ونون الأفعال الخمسة؛ ونونا التوكيد الخفيفة والثقيلة،.. إلخ؛

وإن الأحرف التي جاءت سوابق وكانت قابلة للاتحاد رسماً بالكلمة وُصِلَتْ بها خطِّيّاً، مثالُ ذلك سينُ الاستقبال، والباء الجارة، والقَسَميَّة، وتاء القسم، وفاءا: العطف والاستئناف، ولاما: الابتداء والأمر، واللام المزحلقة، أما واوات: القسم والعطف والاستئناف فعدم اتصالها بالكلمة بعدَها يعود إلى سبب صناعي، وهو أن الواو قابلة للاتحاد رسماً بما قبلَها لا بما بعدَها، ويؤكد دليلَ اتحاد الواو بالكلمة التي بعدها عدمُ وجود فراغ بينهما كالذي يفصل بين كلمتين.

إن همزة الاستفهام واجبة الإدغام بهمزة الوصل في (ال) التعريف المتصدرة للكلمة التي تليها، ومثالها قوله تعالى: «آلآنَ وقدْ كنتُم به تَستَعجلون؟» (سورة يونس، الآية 51)،

وثالثةُ فئات الوحدات اللغوية الصغرى الحاملة لمعنى القائمة بنيتُها على حرف واحد، وهي الأفعال، تتمثل بالأمر من الأفعال اللفيفة المفروقة، وهو يُكتَبُ كلمةً مستقلة فقط إن وقع في دَرْج الكلام، كقولنا: «يا خالدُ قِ نفسَك من الأذى»، فإن جاء الفعل في نهاية الكلام، كقولنا: «يا خالدُ نفسَك قهْ»، وجب وَصْلُهُ بهاءُ السكت، لتعذّر النطق بالفعل: الحرف موقوفاً عليه، فيُؤتى بهاء السكت ليُوقَف عليها ويُسكَت، ومن هنا كان اسمها، وإضافة هاء السكت إلى هذه البنية الصغرى تحولها إلى بنية كبرى، فتخرج عن التعميم السابق.

وهكذا نخلص إلى أن هذا العدد الكبير جداً من الوحدات اللغوية الصغرى الحاملة لمعنى يَمنح اللغةَ العربية حيويةً ورشاقة ومرونة وغزارة وتنوعاً في صوغ الكلمات، وفي بناء التراكيب، لا تضاهيها فيها لغة أخرى.

العباءة والثّقافة

كتب: رفعت بدران

قد يُخيّل للبعيدين عن السّاحة الثّقافيّة في بلادنا أنّ عالمَ «المتربّعين» عليها لا يخلو من المثاليّة في السّلوك الجماعيّ والفرديّ، أو الشخصيّ للمثقّفين، هذه المثاليّة التي يُفتقَدُ إلى معظم تجلّياتها في الأوساط الأخرى التي يعيش فيها هؤلاء البعيدون، فهم يتصوّرون أنّ المثقّفين نادراً ما يخطئون في حقّ أحد، أو بينهم، أو في حقّ أنفسهم، فهم لا يكذبون، ولا ينافقون، ولا يداهنون، ولا يحسدون، ولا يعرف الغرور طريقاً إلى نفوسهم، ولا يمكن أن يستدينوا مالاً ثمّ لا يردّونه لصاحبه مثلاً.. إلخ..

ولأنّ هذه الصّورة الجميلة مطلوبةٌ في كلّ زمان ومكان، ومن كلّ النّاس، فمن باب أولى أن تكون مطلوبةً من المثقّف أكثر من غيره بكثير.

أمّا في مجتمعاتنا فصورة الإنسان المثقّف الحقيقيّة ليست كذلك أبداً، فهي لا تختلف كثيراً عن صورة الإنسان غير المثقّف المنتمي إلى باقي فئات المجتمع، من أبسطها تعليماً ووعياً إلى أكثرها تحصيلاً أكاديميّاً متخصّصاً.

لن أتحدّث هنا عن «المنتج الثقافيّ» الذي يقدّمه هذا المثقّف أو ذاك، فلهذا الحديث شؤونه وشجونه، وأصحابه، بل سأحاول قراءة السّلوك الشخصيّ للكثير من المثقّفين من خلال محاولة اقترابي من الوسط الثقافيّ منذ أكثر من عقدين من الزمن، وهذه القراءة ليست أكثر من رأي شخصيٍّ.

في بلادنا على الأغلب، هناك اتّجاهان يسير فيهما عددٌ من المثقّفين، فهناك من اختار لنفسه طريقاً سهلاً، وهو العمل وفق المنظومات القائمة؛ أي بدرجة موظّف حكوميّ لدى هذه الجهة أو تلك، وهو مضطرّ وفقاً لذلك لمهادنة الواقع الذي يعمل في ظلّه، فنراه متماهياً مع السّلطة السّياسيّة أو الحزبيّة أو الدّينيّة أو العشائريّة أو العسكريّة، ومرتدياً لإحدى عباءاتها، وهذا بالتّأكيد ما سوف ينعكس على منتجه الثقافيّ الذي لن يتعدّى الإعلان أو التّرويج، أو التّهريج في بعض الأحيان.

وهناك من سار في اتّجاه آخرَ، ولكنّه لا يختلف عن الأوّل كثيراً، وإنْ بدا أنّه مناقضٌ له أحياناً، وعلّة ذلك أنّ ردّة الفعل غالباً ما تكون مشابهةً للفعل، لقد أراد هؤلاء أن يبرزوا بأشخاصهم ووجوههم دون أن يفكّروا بالبروز بمنتجهم الثقافيّ، خاصّة عندما شعروا «وهم على حقّ» أنّ منتجهم هذا لن يكون له التّأثير المباشر أو السّريع الذي يسوّغ وجودهم ويُظهرُهم للآخرين، فنرى منهم من يشكو أو يتذمّر أو يصرخ إلى حدّ التحدّي لذلك الاتجاه ولسلطاته المختلفة، ليس من أجل تقديم ثقافة بديلة للثقافة التي يقدّمها ذلك المنافس، بل ليقول: إنّني هنا، وأريد أن أرتدي عباءةً كالآخرين، بل إنّني أريدها مقصّبةً ومذهّبةً، لأنّني أستحقُّ.. وأستحقُّ، وهذا ما سوف ينعكس بكلّ تأكيد على ما سيقدّمه هذا المثقف ولن يكون في معظمه أكثر من شكاوى وانفعالات وندب للحظّ العاثر، لتكون النّتيجة صراخاً مؤقّتاً في وادٍ غير ذي زرع.

يشترك الطّرفان، بل يتشابهان في أكثر من ناحية، وأهمّها: أنّ منتج كلّ منهما الثّقافيّ لن يحفرَ عميقاً في الوعي، بل لن يكون إلا حياديّاً بلا طعم أو رائحة أو لون في أحسن الأحوال، لكنّ التشابه الأهمّ بينهما هو في تصحّر وتكلّس كلٍّ منهما، حيث يغدو كلُّ اتّجاه ومع مرور الزّمن كتلةً صلبةً تتألّف من مجموعة لها طابع الثُّلة المشابهُ للعصابة الخارجة عن كلّ قانون وعرف سوى قوانينها وأعرافها، فتحرص كلّ فئة منهما حرصاً شديداً على عباءاتها وبريقها، وتستميت في الدّفاع عنها، لو اضطرّت من أجل ذلك لاستخدام أسوأ الأساليب والسّلوكيّات.. من كذب ودجل وصلف وعنجهيّة وفظاظة لا تنمُّ إلا عن وضاعة واضحة، فلو شعر أيّ واحد منهم أنّ هناك من يريد الاقتراب من عالمهم «عالم الثّقافة»، فإنهم يرحّبون به ولا يصدّونه، لكنْ شريطةَ ألا يرتدي عباءةً تشبه عباءاتهم، أو يعمدَ إلى السّير أمامهم، أو حتى بموازاتهم، بل يجب عليه أن يبقى في الخلف مصفّقاً لهم، ومسبّحاً بحمد مآثرهم، فلهم وحدهم هم وثللهم مقاعد الدّرجة الأولى، وعلى الوافدين الجدد أن يقبلوا ويقتنعوا بالمقاعد الخلفيّة، وبالعباءات ذات الأكمام الأقصر واللون الأبهت.

أمّا إذا رغب هذا الجديد أن يغامر بمنتجه الثقافيّ، أو حتى بشخصه من أجل أن يتحدّاهم، ويكشف زيفهم بتعريتهم من عباءاتهم وتمزيقها، فلا يتركون وسيلة غير نظيفة إلا ويستخدمونها لتحطيمه وإلغاء وجوده ثقافيّاً، بل إنسانيّاً لو يستطيعون إلى ذلك سبيلاً.

هذا المشهد الثّقافيّ السّوداويّ جدّاً، نراه منذ زمن بعيد في كلّ دولة، وفي كلّ مدينة، وفي كلّ حزب أو تيّار أو منطقة أو عشيرة أو طائفة، بل في كلّ قرية أو عائلة أحياناً، وممّا يزيد في سوداويّته وديمومته أنّ طبائع الفرقة النّاجية التي تسعى للخلاص من هذين الاتّجاهين تأبى وتأنف من الخوض في وحولهما، فتترك الميدان وهي جريحة ومكلومة على أمل أن ينصفها الزّمن والتّاريخ.

الأدب الوجيز بين سلطة النقد وإشكالية المصطلح

كتب: د. عبد الله الشاهر

يبدو الاقتراب من عالم الأدب الوجيز يحتاج إلى الاشتغال الكبير على التفاصيل والموضوعات ذلك أن الأدب الوجيز أدب واسع المجال، متعدد الجوانب، متغير الأبعاد، وهذا يعني أن للأدب أهمية كبيرة في حياة الناس، لأنه لدى هؤلاء متعة ومعرفة وثقافة وتخيل، والأدب الوجيز لا يعني أنه مجرد قصة قصيرة جداً أو ومضة، أو قصيدة نثرية إنه كل ما يكتب بأشكال الوجازة جميعها يشكل الأدب الوجيز.

والسؤال الذي يطرح نفسه اليوم: هل استطعنا أن نخضع الأدب الوجيز لاشتراطات النقد الذي هو مقياس الجودة في النص مع اعترافنا بأنَّ النقد العربي هو نقد لم يخرج من ماضي القدماء ولم يُعِد مراجعة المفاهيم التي يوظفها، وهي مفاهيم انتفت واختفت في اختراقات الكتابة؟ وعلى الرغم من هذا فإن الأدب الوجيز يحتاج إلى رؤية نقدية جديدة لأن النقد هو القادر على محاورة النصوص من مسافة الكتابة ومنحها حياة جديدة، حياة سابقة لزمنها، تواقة إلى المستقبل، والنقد هو الذي يجنّس النص.

وكيف لنا أن نحلَّ إشكالية التجنيس ونعدّه أدباً عاماً يخضع لمقاييس التجنيس العامة في الأدب، وإذا سلَّمنا بذلك فلماذا أطلقنا عليه (الأدب الوجيز)، أسئلة لا بدَّ من الإجابة عنها كي نصل إلى نتائج مرجوَّة في الأدب الوجيز.

والحقيقة أننا بأمسّ الحاجة إلى النقد للأدب الوجيز، فالحديث عن النقد للأدب الوجيز ليس مجرد حديث عن عاملٍ حضاري مهم، وإنما هو حديث عن عامل مهم، بل هو عامل العوامل ومفجر الإمكانات.

إن غياب الفكر النقدي عن الأدب الوجيز يعني استمرار الوثوق الأعمى، وهيمنة المسلمات، وجمود الأفكار، ومن ثمّ غياب التطور، فالأصل في الثقافات أنها محكومة بقانون القصور الذاتي ولا يحررها من هذا الدوران العقيم سوى الفكر النقدي بأبعاده، إذ إن الفكر النقدي شرط مبدئي لازدهار الأدب الوجيز وتطوره.

فكل محاولات التحديث، وكل جهود التنمية، وكل نشاط التعليم والإعلام والتثقيف تبقى كليلة وعاجزة ما لم تكن مصحوبة بالنقد، واعتقد أن هناك تقصيراً واضحاً في المواكبة النقدية للأدب الوجيز.

إنَّ تأسيس الفكر النقدي كان سبقاً عظيماً مدهشاً للثقافة اليونانية في القرن السادس قبل الميلاد حققوا من خلاله تغييراً نوعياً في الفكر البشري، وهذا السبق العجيب هو الذي مكَّن الأوروبيين من أن يفلتوا من أسر المسلمات في العصر الحديث، وهو الذي علمهم مداومة المراجعة، واستصحاب الشك واستبعاد الوثوق، وهو الذي أشبعهم بروح المغامرة واقتحام المجهول.

من هذا المنطلق ومن صميم معركة المعرفة التي تجتاحنا، كان لا بد من استشعار أهمية النقد في الأدب الوجيز وفي حياتنا الأدبية بشكل عام.

المسألة الثانية في الأدب الوجيز التي ما تزال عائمة وإلى يومنا هذا هي إشكالية التجنيس التي لم نستطع أن نحسمها أو نقول فيها رأياً، فهل الأدب الوجيز هو جنس خاص به له أسسه ومقوماته؟ وإذا ما كان كذلك فلماذا لا نجنس الأدب الوجيز؟ ذلك أن التجنيس تتم من خلاله عملية تقييد قوالب الكتابة الأدبية.

وتقترح أساسيات الإنشاء والبناء راسمة آفاقاً معرفية لكيفية التنوع الكتابي ومقبوليات أنماطه، فالتجنيس عمل تصنيفي وصفي به يوسم عمل إبداعي ما بوسم معين ليندرج بعدها في فئة تشاكله كتابياً وتتوافق معه قرائياً، ولا تجنيس من دون وفرة في الكتابة، ولا نوع وافر من دون تجنيس.

وأعتقد أن الأدب الوجيز قد قرُب أن يحقق وفرة في إنتاجه وهنا لا بد من قواعد التجنيس إذاً...

إن الأدب الوجيز وعلى هذا الأساس يحتاج إلى رؤية نقدية جديدة في ضوء النظريات الحديثة وبنظرة حديثة مستقبلية تساهم في بلورة الوعي الفكري الإبداعي في ظل التحولات التي يشهدها العالم اليوم، وعليه أي الأدب الوجيز أن يمتلك القدرة على إثارة الأسئلة المغايرة والمنفتحة على كل ما هو جمالي وإنساني.

وفي ضوء الاستقراء والتأمل في مصطلح الأدب الوجيز كواحد من بين كثير من المصطلحات الأدبية واللغوية والعلمية قد واجه بعض المشكلات وأهمها:

1 ـ الفهم الخاطئ للمصطلح من المتلقي ما يؤدي إلى بعض التداخل الإشكالي وهذا يتطلب حالة التوضيح والضبط من خلال خاصية التسمية.

2 ـ تأصيل مصطلح الأدب الوجيز وفك ارتباطه مع ملابسات المصطلحات الأخرى مثل (الهايكو) و(البلاغة) وتثبيت دلالته عند مستخدميه بحيث تثبت صفته الأصلية.

3 ـ يجب أن يفهم المصطلح (الأدب الوجيز) على أنه تسمية يصطلح بها على تأدية المعنى المقصود وحرمت بموجبها حق الانزياح الدلالي المباح للكلمات العادية تفادياً لكل اضطراب تواصلي محتمل.

ومنعاً لأي إشكالية فإن المصطلح يجب أن يبقى شامخاً معتزاً لا يسمح لأحد بالتلاعب به وانتهاك حرمته، إنه سيد الموقف، ومالك زمام نفسه وليس من سبيل إزاءه إلا أن يذعن له.

كتبها: منير خلف

طعم الذكريات

لم تكن المسافة بعيدة بين قريتي (شاغر بازار) قريتي التي شهدت بسلسلة جبلها الشامخ والمترامي الأكتاف على بيادر (الحرمل) و(الاستريزرك).. ذلك الجبل المطل على نهر الخنزير من جهة الغروب.. نهر الخنزير الذي كان يفيض في الشتاء والربيع معلناً عطاءاته الخضراءَ لقريتنا وللقرى التي كان النهر يفصل بيننا وبين قرية (تل العشق) التي كان جميع سكانها من (كريفيننا اليزيديين) من جهة الشروق.. وبين قرية (بيرزرافه) وقرية (داوديه) المتتاليتين المتّخذتين من طريق الجنوب الشرقي لقرية (شاغر بازار) منهجاً في عشق الدرّاجات الهوائية (البسكليت) لذلك الطريق الترابي الحميم القريب من ملهاة ذاكرة طفولتنا المغموسة في أوحال مأساة حوامل تلك الذاكرة ونشدانها المتدفّق بنهر الحياة.

لم تكن المسافة بعيدة بين قريتي التي شهدت بأصوات قبّراتها وزقزقات عصافيرها وبخور الحرمل اليابس التي كانت بعض الأمهات يُشعلْنَهُ تأسّياً بطرد شياطين الجن ودحر حسد العيون من البيوت.. بيوت القرية الطينية التي لم نكن نتأفّف – كما يتأفّف أغلبنا اليوم – من شدة قيظ الصيف وتبعات شمسه اللهّابة.

لم تكن المسافة بعيدة بين قريتي التي لم تكن فيها سوى شجرة وحيدة يتيمة عجوز تتربع عاتية جبّارة في فناء دار (حسين حاج أحمد)، تلك الشجرة التي كنت أنتهز فرصة نوم الكبار في السن سويعات الظهيرة ومنهم صاحب الدار المذكور وقرينته أم أولاده وبناته خالة (لطيفة) رحمهما الله، لأحمل (نقّافتي): بندقية الصيد المصنوعة قاعدتها من خشبٍ مقوّس، أما حاملة قذيفتها الحجرية فكانت تصاغ من مطاط بلاستيكي مُعدٍّ بشكل خاص لقنص العصافير التي كانت تتّخذ من أغصان تلك الشجرة العالية مواطن مؤقّتة لها وكنت أتخذ أنا مكاني خارج فناء الدار من الحائط المحاذي لتلك الشجرة المتّكئة على كتف الغروب لأسدّد رمياتي الحجرية الصغيرة التي لم تكن تأخذ أكثر من حجم أنملة لتصيب صدر عصفور أو رأسه أو أحد جناحيه ليسقط تحت الشجرة مضرّجاً بنتف طفيفة من دمه، وألتقط أنفاسي خلسة داخلاً الحَوْشَ على رؤوس أصابع قدميّ كاللصوص أهرع لالتقاط فريستي (العصفور الذي تخلّت عنه مَلَكةُ الحياة) بعد وقوعه في شرك الاصطياد.

لم تكن بعيدة المسافة بين قريتي مهبط صعود أحلامي وقرية (كر خالد) التي تبعد عن قريتي حوالي اثني عشر كيلو متراً نحو مدينة عامودا.

تلك هي القرية التي تشبهُ الذكرياتُ فيها ذكريات قريتي (شاغر بازار) في وجود أختي الكبرى (هدية) رحمها الله، وما كانت تتصف به من دور الأم الرؤوم، وما لتلك القرية من شامات توائم شامات قريتي التي ولدت فيها من حيث جبلُها المطلُّ على بيادرَ شاسعاتٍ من جهات المكان جميعها، تلك الجهات المتّسمة بلآلئ الذهبَين الأصفر والأبيض، ولمرور أجزاء متقطعة من نهر الخنزير فيها وهو يتّكئ على ما تجود به أيدي غيوم الشتاء وديَم الربيع.

إيه يا نهر الخنزير.. يا نهر ذاكرتنا البيضاء.. يا حنين الجهات الست إلى شروق فرحتنا التي لم تكن تمتلئ حناجرها إلا بمقدار ما كانت تشهد ولادة ذكريات كفيلة بالعبور إلى الضفة الأخرى من الحنين.

وايه يا نهر الحكايات القصيرة التي طالما صارت مرويات ليالينا الشتائية الطويلة حسب مسامرات البيوتات الطينية الدافئة المباني والمعاني معاً في عتمات (شاغر بازار) وهنّ يُطَبْطِبْنَ على أكتاف مواجدنا المدغومة بقصار أعمار الندى في روزنامة العمر المتدفق اكتناز السنابل بالحليب وانهمار مساءات نيسانَ المحمومة بدفء الشوق وانحباس الغصص المكلومة وراء أستار الشفق وآهات الرحيل.

وايه يا غدير (أمينكو)، يا محطات ذاكرتنا التي لا تُنسى، وبوصلة شمال قلوبنا نحو مجهول عنيد، وجهالة سباحتنا في مياه نهر الخنزير وخوفَنا من الغرق في ذلك الغدير الذي كان أقربَ إلى كوابيسَ تقضُّ مضاجعَنا نحن الصغارَ لعدم قدرتنا على بلوغ ما كان يتصف به السبّاحُ: أمين من مهارته في السباحة في الغدير الذي كان يبدو عميقاً وصعباً تناول أيدي أحلامنا في الوصول إلى قطاف نعمة السباحة فيه متخذاً فيما بعد اسمَه الأمينيّ من (أمين) أكثر الشبّان معرفة به وبأسرار مياهه وخفاياها.

إيه يا نهرَ ذاكرتنا الذي لا تنضب أمواهُ عطاياهُ وإنْ غيضَ ما غيضَ من مائه، أتكون لنا عودة أحمديّةٌ إلى تلك المناهل التي لا تتوقّفُ ينابيعُ بهائها عن ضخّ أزاهير الوقت حين تبتّل أبواب طفولتنا برائحة الحرمل وحرية النعناع البرّيّ ونكهة السّكّر النباتيّ وحظ القلوب من الابتهال؟

إيه يا نهر الخنزير.. كم كنا نقول لك في قلوبنا: لا تقف عند صمت الجفاف.. لا تجفّ.. لكننا تجاهلنا صوت قلوبنا، وجهلنا لغة معناك العذب.. ولأننا ما زلنا ننتظرك.. لا تبتْر خيوط أحلامنا.. ولأننا لن نجهل بعد اليوم مبتداك.. فلا تخبرْ أحداً من ساكني ذاكرتك إلا بموعد قريب قريب.. تلمّ فيه شملَنا ونعود فيه إلينا.

كنوز الذكريات

كتب: د. جودت إبراهيم

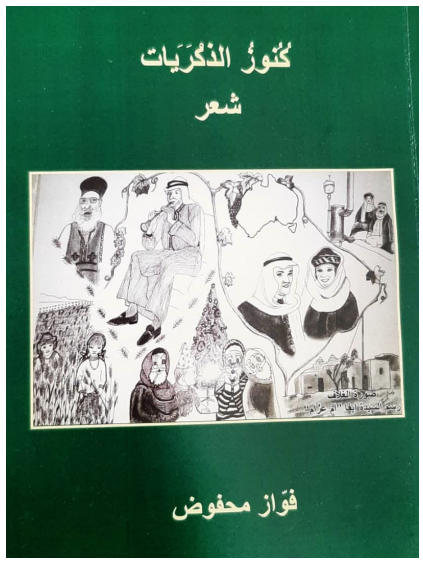

صدر في مدينة سيدني بعناية مشروع الاديب الدكتور جميل الدويهي» أفكار اغترابية – محافظة « للأدب الراقي لعام 2021 ديوان « كنوز الذكريات « للشاعر المهجري فواز عزيز محفوض، وهو من مدينة السقيلبية- محافظة حماة ومقيم في أستراليا منذ زمن طويل.

يقع الديوان في 106 صفحات، 64 صفحة للشعر الفصيح، و 42 صفحة للشعر العامي المحكي، تصدّرَ الديوان مقدمة منهجية بقلم الأديب جميل الدويهي مؤسس مشروع أفكار اغترابية للأدب المهجري الراقي، ومما جاء فيها: « لم نقدّم للشاعر محفوض سوى بعض المساعدة في الترتيب والإخراج وتصميم الغلاف، أمّا البَدعُ الشعريّ فمن وحيه، ومن قلبه وفكره المتوقّد، وهو شاعرٌ عاشق للشعر الموزون: تارة بشكله التقليدي وأخرى بطريقة التفعيلة، وفي كليهما يقدّم ذاته وتجربته وأسفاره كسندباد جديد، يتعشق البحار والخطر ثم يعود آمناً إلى البرّ ليعمل في مهنٍ متعددة وفي حرفة الشعر التي تواكبه أينما حلّ».

جاءت القصيدة الأولى في مطلع الديوان للشاعر محمد الديراني مهداة إلى صديقه الشاعر فوّاز محفوض يقول فيها:

ارتديتَ البحر
وما أضناك السفرُ
تسير خلفك مراكب الأحزان
وأوجاع التراب
وقلبك ينبض وطناً
وما همّكَ خطرْ
مجاذيفك المحبّة
المعطّرة بالياسمين الدمشقي
لتسوّغ غصّة أمواج الألم
وتبلسم الجروح
بالكلمات
وتكشف أسرار الروح
في كنوز الذكريات
يا رفيقَ القمرْ

ومن الديوان نختار قصيدة بعنوان» لك يا بحر سلامي» لتصف رحلة الشاعر البحرية في السفينة «ديسبينا» طالما أن الهجرة إلى بلاد الاغتراب كما نعرفها وكما سجّلها الأدب المهجري في نهضته الأولى كانت دائماً بالسفينة وما صاحب ذلك من خطر في طريق السفر... يقول:

ديسبينا
كان اسماً للسفينة
وبها أول إبحاري وبحري
كم تلاقينا بصبح أو مساءْ
ومضينا في عباب الكون
نسعى في رجاءْ
لم أكن أخشاك يوماً
بل تعارفنا بحبّ وصفاءْ
عندما كنت صغيراً
كان حلمي أن أرى تلك الشواطي
والمحيطات الكبيرة
والسماءْ
يا صديق البحر
من عمر الطفولة
كبرت أحلامنا ثم التقينا
وتشاركنا الغناءْ

ثم تأتي بقية قصائد الديوان لتحكي حكايات المغترب وذكرياته في الوطن وآلامه لتضمد جراحاته الجديدة التي اقترفها الغرباء بحق سورية وأبنائها في كل ساحات الوطن وعلى مداه الواسع، لم يترك الشاعر صغيرة ولا كبيرة إلا عبّر عنها شعراً يلامس عقولنا وأحاسيسنا، انشطر الشعر إلى شطرين أولهما في وطنه والآخر في بلاد الاغتراب...

ومن الشعر العامّي- المحكي الذي خصّص الشاعر منه القسم الأكبر لذكريات الوطن- الضيعة وسَقلَب (السقيلبية) نختار قصيدة بعنوان:

لحّن يا هالناقوس
شو صار؟
مدري مين متغير
طل الصبح وتفتحوا لوردات
أيّام كنا نلعب اللعبات
وكانت اللعبة دايرة
وقديش حلوة نذكر الأيام
وكنيسة الضيعة
اللّي بعدا ساهرة
ناقوسها بيدق للنسيان
تا يذكّرا الأصحاب والخلّان
سَقْلَبْ الحلوة بالقلوب مسافرة
تعطي درس بالحب
وصوت الأذان ودقّة الناقوس
والناس عم تنشد على الأرض السلام

يأتي هذا الديوان ضمن سلسلة من الدواوين والقصص والروايات وغيرها من الأنواع الأدبية التي يسعى إلى تبنيها ونشرها وتوزيعها من أستراليا إلى العالم، وكذلك من بلاد الاغتراب في جميع القارات إلى البلدان العربية والعالم مشروع الأديب الدكتور جميل الدويهي الذي بدأه منذ عدة سنوات، وشاركه فيه نخبة واسعة من الشعراء والأدباء والنقّاد والباحثين والأكاديميين في الوطن والمهجر بهدف الوصول إلى النهضة الاغترابية الثانية الواسعة الانتشار والمتعددة الأنواع الأدبية والأدباء، وقد خصّص الدكتور الدويهي جائزة سنوية معنوية لعشرة من المشاركين في هذا المشروع المهم الذي سيكشف عن الجواهر الأدبية الكثيرة التي كانت ولا يزال كثير منها طيّ الأدراج، ونحن ندعو المثقفين والأدباء والنقاد والأكاديميين والمؤسسات الثقافية واتحادات الكتاب والأدباء لمد يد المساعدة والمشاركة في إنجاح هذا المشروع وتسليط الأضواء على الأدب المهجري الجديد في بلاد الاغتراب والكشف عن مكنونات هذا الأدب وأنواعه وغاياته وأعلامه وعدم تركه في مجاهل التاريخ وغير ذلك.

أمين بن عبد العزيز الخَيّاط
من أشهرِ عازفي القانون ومن كبارِ الملحِّنين..

الأسبوع الأدبي

نتحدث في هذه الصفحة اليوم عن عازف آلة القانون الكبير الملحّن أمين الخيّاط في هذه الصحيفة التي تُعنى بالفنون الأدبية من بابِ تلحينه لعدد كبير من قصائد الشعراء منها: قصيدةُ (وبَعْدَ الصَّبْر) التي كتبها الشاعر الفلسطيني الكبير صالح هواري، وغنّتها المطربة الراحلة فاتن حنّاوي وقصيدة (وطن الصمود) للشاعر هوّاري وغناء دلال الشمالي، ثم قصيدة (شطآن الأسى) ولهواري أيضاً قصيدة (صباح بلادنا) غنّاها المطرب باسل خلف و(يا حبيبي)، للشاعر الراحل حسين راجي غنّاهما الفنان الراحل مصطفى نصري وقصيدة (طريق الانتصار) لراجي غنّاها مصطفى فؤاد، كما لحّن الخيّاط من كلمات المخرج والشاعر الراحل عبد المسيح نعمه (لعينيك الغناء) غنّاها المطرب خلدون حنّاوي و(أنت الهوى) غناها خلدون حنّاوي وريماز.. كما لحّن قصيدة النجوى للشاعر توفيق أحمد وغناها خلدون حنّاوي.. ولحّن من كلمات الشاعر الراحل كمال فوزي الشرابي وجميل محفوظ والشاعر الراحل الدكتور رضا رجب.. كما غنّى من ألحان أمين الخياط صباح فخري وجلال سالم وسمير حلمي وعصمت رشيد ونهاد فتّوح وسونيا مَقْديد وضياء صادق وكنانة القصير ومعين الحامد ولحّن قصائد لعيسى الضاهر وأحمد قوّاص وعبد القادر قصّاب وأحمد المفتي وحسن البحيري وخليل حوري ونزار مؤيّد العظم، ومن أكثر من غنّوا من ألحانه الفنان الراحل دياب مشهور.

ومن يُرهفُ السَمعَ لآلة القانون حين يعزَفُ بها عازفٌ ماهرٌ، يكادُ يسمعُ صوت آلتين تعزفان معاً، ولا بدّ من أن يدفعَهُ حبُّ الاستطلاع لمعرفة كُنْه (حقيقة) هذا السرّ، وما هو هذا الصّوتُ المغيَّبُ بين الوتر والخشب..

والحقيقةُ أنّ ذلك السرَّ نابعٌ من اشتغال يد العازف، وتنقُّلها من مكانٍ إلى آخرَ بأصولٍ فنّيةٍ وحركةٍ مُتّزنةٍ لا يعرفُها إلا أربابُها..

فالعازفُ بهذه الآلة، تكونُ في وقت العزف جميعُ الأصوات الموسيقية التي يحتاجُ إليها من قراراتها وجواباتها مبسوطةً أمامه، ويداهُ متفرّغتانِ للعزف عليها، فيكونُ المَسموعُ من الآلة صوتين، قراراً وجواباً، الاشتغالُ بها محصورٌ ضمن الأصوات الموضوعة لها وعددُها أربعةٌ وعشرون صوتاً.. هذا من جهة الوضع، أمّا من جهة تركيب الأوتار أي (الدّوزان) هو أن يُشدَّ لكلّ صوت من الأربعة والعشرين ثلاثةُ أوتار متساوية، وهذه الثلاثةُ تسمّى بلغة واصطلاح الموسيقيّين وتراً واحداً، ويكونُ أغلظَ ممّا فوقه، وأرقَّ مما تحته.

وُلِد الملحّنُ البارز أمين عبد العزيز الخيّاط في مدينة دمشق حيّ العمارة في 21 /8 /1936م.

بعد حصول أمين على الثانوية كان يسهرُ في بيت والده كبارُ أهل الفنّ والموسيقا منهم: صابر الصَّفْح، وحليم الرومي، ومحمد مرعي، ورفيق شكري، وسرّي طمبورجي، ونجيب السرّاج، وعدنان قريش، ويحيى السعودي، وميشيل عوض، ويوسف بتروني، وسلامة الأغواني، ومحمد عبد الكريم أميرُ البزق.. وغيرُهُم...

انتسب الملحّن أمين الخيّاط إلى المعهد الموسيقيّ الشرقي بدمشق، في عام 1951، أتْقَنَ العَزْفَ والأوزانَ والضُّروبَ الموسيقية والنّوطةَ الموسيقيّة وتعرّف إلى فنّ الموشّح، وقرأ التجويد، وأتقنَ مخارجَ الحروف على يد الشيخ محمّد أحمد دهمان، وتدرّب على يد العازف الشهير محمد العقّاد، في خمسينيات القرن الماضي اختير أمين ليعزف على القانون أمام كوكب الشرق أم كلثوم، وفي صيف عام 1954 زارت المطربةُ نجاة الصغيرة مسقط رأسها دمشق وهي دمشقيةٌ من عائلة «البابا الدركشلي» من حيّ الميدان، وكان والدُها الفنّان الخياطُ «محمد حسني البابا» قد هاجر إلى القاهرة، وفي زيارة الفنّانة نجاة الصغيرة تلك، عزف أمين مع الفرقة أمام المطربة نجاة.

كما عزف أمام المطربة الكبيرة (سعاد محمد)، تمَّ تعيينُهُ سنة 1957م، في إذاعة حلب، أنشأ فرقةً موسيقية بعنوان «الأوتارُ الذهبيّة»، تم تعيينُهُ في مديرية المسارح التابعة لوزارة الثقافة عازفاً لآلة القانون... بعدها بسنوات سافر إلى أوروبا بدءاً من عام 1961 إلى مدة حوالي ثلاث سنوات، وقد عمل موسيقيّاً في إسبانيا، ولندن، واليونان وغيرها.. وبعد عودته من أوروبا وفي عام 1963 عاد إلى وطنه سورية ومدينته دمشق فأسّسَ فرقةَ الفجر الموسيقية وتعاون مع نور الهدى، ونصري شمس الدين، وصباح، وسميرة توفيق، ومحمد رشدي، وشريفة فاضل، وهاني شاكر، وفايده كامل، ومحمد الموجي وغيرهم...

ثم في وقت لاحق مع ميادة حنّاوي وعمر حلبي.. ووضَعَ ألحاناً لكثير من المسرحيات مثل (عرس الدم) للوركا، ومسرحية (حيظلم بظاظا) للمخرج محمد الطيّب ومسرحيته (طرّة ولا نقش) للفنان طلحت حمدي ووضع الألحان لكثير من المسلسلات الإذاعية والتلفزيونية.. في عام 1973 لحّن في القاهرة لـ شريفة فاضل ومها صبري وندى وغيرهنّ، وصُنّفَ ملحّناً من الدرجة الممتازة وخاض تجارب موسيقية مع عزيز غنّام، ومحمد محسن، وإبراهيم جودت، وعدنان أبو الشامات، وألّفَ عدداً كبيراً من المقطوعات الموسيقية.. عدا الفواصل والشارات الموسيقية الخاصة بالبرامج الإذاعية والتلفزيونية.. ولحّن لـ كروان ومها الجابري وبراءة شفيق، وكنانة القصير، وسمر عرفه، وفاتن حنّاوي، وهيام محمد، وفهد بلّان، ومعن دندشي، وبهجت الأستاذ (فتى دمشق)، وعصام بشير، وعيسى مسّوح، وموفّق بهجت، ومصطفى ماهر، ونهاد عرنوق، ومحمود ياسين، وفهد يكن، وفتحي صبح، وفؤاد حجازي، ودريد عواضه، وعاصم سكّر، ومحسن غازي..

عُيّنَ أمين الخيّاط رئيساً لفرقة الإذاعة والتلفزيون، ومشرفاً ومراقباً لبرامج التلفزيون الموسيقية، ورئيسَ الدائرة الموسيقية، ومستشاراً لشؤون الموسيقا في الهيئة العامة للإذاعة والتلفزيون، وعضواً عاملاً لنقابة الموسيقيين التابعة لاتحاد نقابات العمال، وعضواً في مجلس إدارة النقابة عام 1965 ونقيباً للفنّانين بعد صدور قرار تشكيل النقابة ولدورتين.

أمين الخيّاط أرقُّ من نسمة قادمة من بَحْر أو بَرٍّ أو بادية لا فَرْقَ، عالي الخبرة والذوق واللياقة واللباقة والأناقة، صديق صدوق، ملتزم مُحبّ، لا يبخل بعلمه على أحَد، كُلُّ الناس أصدقاؤُهُ وأحبابُهُ وهو شخصيةٌ مهمةٌ وعامةٌ قارب التسعين من العمر ولكنّه يتمتّع بنشاطَ حيوي محافظاً فيه على سلامة الغذاء والصحة.. لا يعتذر عن عمل أو ورشة أو لَحْن.. يشارك في كُلّ شيء بنَفْس طيّبة مَرنة خيّرة معطاءة..

أمَدَّ الله في صحتِه وعافيتِه وهو مثالٌ بارزٌ للإنسانِ الذي يُعطَى ويُحبّ ويحترَم حتى آخر لحظة من حياته.

غوركي في الأدب الروسي

كتب: إبراهيم إستنبولي

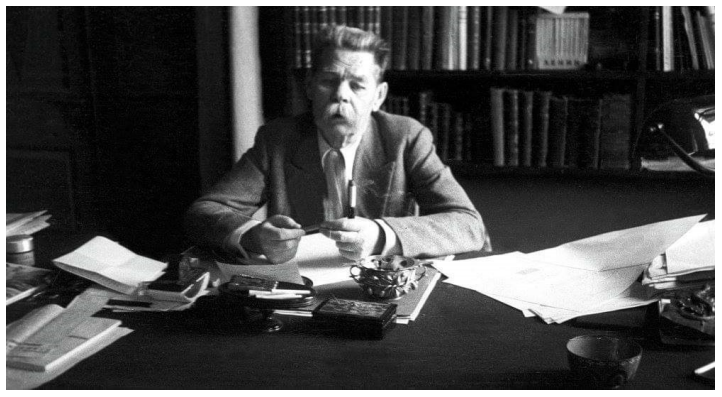

يعدّ مكسيم غوركي واحداً من أهم الكتّاب الروس ومؤسساً لما عرف بالواقعية الاشتراكية؛ كما عرف بمواقفه السياسية وبانحيازه لمصالح الطبقة العاملة.

ولد مكسيم غوركي في الثامن والعشرين من آذار عام 1868، توفي والده عندما كان في الخامسة من العمر، اضطّر للعمل منذ أن بلغ الثامنة من عمره، عمل كمساعد حريقٍ وفي غسل أطباق على سفينة وعاملاً في مصنع، وتعلم القراءة والكتابة في هذه الفترة، عند بلوغه الواحدة والعشرين تحول إلى متشرّد جال في أنحاء روسيا مدة سنتين.

طفولة قاسية

لم يكن مكسيم الصغير يميل للذهاب إلى الكنيسة، لكن جدّه كان يرغمه على الذهاب والصلاة في الدير، أما في المدرسة فكان مكسيم يصنّف فتى صعباً، هجر المدرسة وأصبح الشارع هو المكان الذي يقضي فيه معظم أوقاته محوطاً بأقرانه من المراهقين، ولكي يحصل على ثمن طعامه راح يجمع الأسمال أو يسرق الأخشاب، كان يتمتع بإرادة هائلة وبذاكرة قوية «كحصان» – حسب تعبير جدّه»، راح يقرأ بنهم كل ما يقع بين يديه، وبوجه خاص أعمال الفلاسفة المثاليين من أمثال نيتشه وشوبنهاور وغيرهما، وقد أذهل المتسكع وابن الشارع أصدقاءه من أصحاب الشهادات بسعة اطلاعه على أعمال كبار الكتاب الكلاسيكيين، بيدَ أنَّ مكسيم بيشكوف ظلّ حتى عمر الثلاثين يكتب نصوصه مع أخطاء إملائية نحوية وترقيمية، فكانت تقوم بتصحيحها زوجته يكاترينا.

في 12 كانون الأول من عام 1887 قام الشاب بيشكوف في لحظة يأس بأول محاولة انتحار بوساطة بندقية خفيفة، لم تكن الإصابة قاتلة، واستقرت الرصاصة في جسده فأسعفه الحارس التتري للدير الذي كان قريباً من مكان الحادثة، ثم كرّر المحاولة في مكتب الدكتور المعالج عندما قام بشرب كمية من سائل كيميائي، أجري له غسيل معدة، وقد أشار في روايته «جامعاتي» إلى تلك الفترة من حياته، وعدَّ ما حدث معه حينذاك أمراً شائناً بحقّه، وقد حاول تصويره في قصته «حادثة من حياة مكار».

وبهذا الخصوص، ثمة رأي للطبيب النفسي شايكفيتش الذي كتب في عام 1904 كتاباً بعنوان «الخصائص النفسية لأبطال مكسيم غوركي»، أصدره في بطرسبورغ، يذكر فيه أنَّ غوركي يعاني ميولاً انتحارية كوسيلة لحل جذري لمشكلاته الحياتية، وقد دعم هذا الرأي البروفسور غالانت – الاختصاصي بالأمراض النفسية الذي قام في منتصف العشرينيات بدراسة شخصية الكاتب وبتحليل الخلفية السيكولوجية لأعماله ولحياته، وأشار في رسالة وجهها للكاتب نفسه إلى أن بيشكوف الفتي كان شخصاً غير متزن من الناحية النفسية.

«حياة زوجية مزدوجة»

عند تخوم عام 1900 ظهرت في حياة غوركي امرأة جميلة وفاتنة جدّاً، حين وصلت فرقة المسرح الفني في موسكو «مخات» إلى سيفاستوبول من أجل عرض مسرحية تشيخوف «تشايكا – طائر النورس» بحضور المؤلف نفسه، وهناك تعرّف غوركي على الممثلة في المسرح الموسكوفي مارينا أندرييفا، ثم كان أن لعبت الممثلة دور البطلة ناتاشا في مسرحية غوركي «في القاع»، فسحرته، بدءاً من عام 1903 هجرت أندرييفا أسرتها وأصبحت زوجة «مدنية» وسكرتيراً أدبياً لمكسيم غوركي»، وقد لعبت مشاعر غوركي تجاه أندرييفا دوراً كبيراً في تطور غوركي الإبداعي»، وبتأثير من أندرييفا جرى تقارب بين غوركي والحزب الاشتراكي الثوري الديموقراطي الروسي بقيادة لينين في الفترة 1904 – 1905، وفي تشرين الثاني من عام 1905 جرى أول لقاء بين غوركي ولينين.

في عام 1906 سافر غوركي بطلب من لينين مع أندرييفا (يرافقهما الحارس الشخصي نيكولاي بورينين الذي كان عميلاً <للمجموعة الأمنية التقنية التابعة للبلاشفة>) إلى الولايات المتحدة الأمريكية وذلك بهدف جمع التبرعات لمصلحة التحضير للثورة في روسيا.

اللافت هو أنّ يكاترينا بيشكوفا ظلّت هي الزوجة الشرعية لغوركي حتى وفاته، وأنَّ العلاقة بينها وبين الزوجة – العشيقة أندرييفا ظلّت طيبة وودّية طوال الوقت.. حتى أنهما كانتا صديقتين وشاركتا معاً في تشييع الكاتب، وقد كان الوئام هو السائد في جميع اللقاءات التي جرت بين المرأتين.

الهجرة من روسيا بعد ثورة أكتوبر

غادر غوركي روسيا في 16 تشرين الأول من عام 1921 – لم يكن في ذلك الحين وارداً أو مسموحاً استخدام كلمة «الهجرة» للإعلان عن سفره، فقد كانت الرواية الرسمية لمغادرته روسيا هو تجدد المرض لديه «السل» والحاجة للعلاج، بناء على إلحاح لينين، خارج البلاد، أما الرواية الأخرى هي أنَّ غوركي كان مضطراً لمغادرة روسيا بسبب تفاقم خلافاته الإيديولوجية مع السلطة السوفييتية، فعاش في الفترة 1921 – 1923 متنقلاً ما بين هلسنكي وبرلين وبراغ، إذ لم يُسمح له على الفور بدخول إيطاليا لأنهم كانوا يعدّونه «غير جدير بالثقة سياسياً».

وحسب شهادات معاصرين له، اتخذت الاستخبارات السوفييتية وبموافقة لينين، قراراً بترحيل غوركي إلى ألمانيا لكونه مفكّراً متذبذباً وغير مضمون سياسياً، وسرعان ما لحقت بزوجها «غير الشرعي» مارينا أندرييفا وذلك من أجل مراقبة سلوكه السياسي والإشراف على إنفاق أمواله، وقد اصطحبت معها عشيقها الجديد، ضابط الاستخبارات بيتر كروتشكوف (الذي سوف يصبح بعد سكرتيراً دائماً لغوركي حتى وفاة هذا الأخير).

في عام 1922 كتب غوركي رسالة إلى كل من أ، ي، ريكوف وأناتول فرانس، أعرب فيها عن إدانته ومعارضته للمحاكمة التي دبرت ضد الاشتراكيين الثوريين في موسكو والتي كانت تهدد بإعدامهم، قامت جريدة «فورفارتس» الألمانية بنشر الرسالة التي لاقت صدى كبيراً، كما نشرتها عدة صحف ناطقة بالروسية في المهجر، عدّ لينين أن رسالة غوركي «عمل نجس» وأنها «خيانة» من صديقه، كما نشر إدانتهما للرسالة كل من كارل راديك في صحيفة «البرافدا» ودميان بيدني في «الأزفستيا»، بيد أن غوركي كان يتعامل بحذر شديد مع الروس المهاجرين، ولم يقم بانتقادهم قبل عام 1928، كما أنه لم يشرّف بحضوره الاحتفالية التي نظّمها في برلين الأدباء أندري بيلي / شاعر/ وألكسي تولستوي /كاتب/وخوداسيفيتش وشكلوفسكي /ناقد/، الذين كانوا يكنون له المودة وذلك بمناسبة مرور 30 سنة على انطلاق نشاط غوركي الأدبي.

بدءاً من عام 1924 عاش غوركي في إيطاليا، وهناك كتب مذكراته عن لينين.

حاول غوركي أثناء إقامته في أوروبا أن يلعب دور جسر يربط بين الرعيل الأول من المهاجرين الروس والاتحاد السوفييتي، وقام بالتعاون مع شكلوفسكي وخوداسيفيتش بإصدار مجلة «بيسيدا – محادثة أو مداولة»، حيث كان يريد لهذه المجلة ذات التوجه الفلسفي المفاهيمي أن تجمع بين أوروبا والروس المهاجرين والاتحاد السوفييتي، وكانت فكرته تقوم على منح الأدباء السوفييت الشباب فرصة نشر أعمالهم في أوروبا، وأن يتعرف القارئ السوفييتي على إبداع الكتاب الروس المهاجرين، أي أن تلعب المجلة دور صلة الوصل بين أوروبا والاتحاد السوفييتي، وقد تم الإعلان عن مكافآت مالية كبيرة، ما خلق حماسة شديدة لدى الكتّاب على جانبي الحدود، وفي عام 1924 صدر في برلين أول عدد من مجلة «بيسيدا»، الذي شارك فيه كتاب روس مهاجرون وسوفييت وأوروبيون مثل رولان وغولسورسي وتسفايغ، ومع أن السلطات في موسكو دعمت المجلة نظرياً وبالكلام، لكنه عُثر بعد في الأرشيف على وثائق تصف المشروع بأنه مؤذٍ إيديولوجياً، لم يصدر من المجلة سوى 7 أعداد، ومع ذلك لم يسمح المكتب السياسي للحزب الشيوعي بدخول المجلة إلى الاتحاد السوفييتي، ما أدى إلى فشل المجلة، أحسَّ غوركي بالإهانة سواء تجاه الكتّاب في المهجر أم تجاه الكتّاب في داخل الاتحاد السوفييتي، إذ تبين أنه لم يلتزم بالوعود التي أطلقها ما شكّل ضربة لسمعته.

بناء على دعوة من الحكومة السوفييتية وستالين شخصياً، عاد غوركي إلى الاتحاد السوفييتي في عام 1928 بعد غياب استمر سبع سنوات، ولكنه سرعان ما قفل راجعاً إلى إيطاليا، بعد أن قام برحلة في أنحاء الاتحاد السوفييتي، دأب على زيارة الاتحاد السوفييتي سنوياً حتى عاد بشكل نهائي في عام 1932، وقد منحته الحكومة السوفييتية بيتاً مستقلاً في قصر النبيل سابقاً ريابوشينسكي الذي تحوّل بعد إلى متحف غوركي في موسكو، كما قدّم له ستالين فيلا في شبه جزيرة القرم ليقضي فيها فصل الشتاء من كل عام.

في 27 أيار من عام 1936 أصيب غوركي بالكريب»، ثم تدهورت حالته الصحية، فقام ستالين بزيارته ثلاث مرات خلال أقل من أسبوع، برغم الوضع الصحي الصعب، بقي محتفظاً بوعيه وبقدرته على تبادل الحديث مع زواره عن الأدب والأدباء حتى تاريخ وفاته في صباح 18 حزيران من عام 1936 عن عمر 69 سنة.

تم ترشيح غوركي لنيل جائزة نوبل في الأدب خمس مرات في السنوات الأولى من عقد الثلاثينيات، لكنها كانت في عام 1933 من نصيب الكاتب إيفان بونين؛ وبذلك انتهت أحلام غوركي بالاعتراف الرسمي به كاتباً عالمياً.

قصر الخورنق مربد الشعر العربي في مملكة الحيرة بالعراق

كتب: د. رحيم هادي الشمخي

يعدّ قصر الخورنق الذي شيده (النعمان بن امرئ القيس) عام 399م من ملوك (المناذرة) واحداً من أشهر قصور دولة المناذرة في العراق، وتروى في أسباب بنائه روايات بعض الأخباريين، حيث أوكل الملك النعمان المهمة إلى مهندس (رومي) يقال له (سنمّار)، واستغرق العمل به عشرين عاماً، يتكون من 20 قاعة للشعر والفن والموسيقا، وأحواض للسباحة وقلاع حربية، إلا أن نهاية بناء القصر بمقتل المهندس الذي بناه من قبل الملك النعمان حتى لا يوشي بأسرار خفايا بنائه، وهكذا أصبح المثل العربي (جزاء سنمّار).

وتناقل ذلك الشعر العربي فقد ذكر في أبيات تُنسب إلى (عبد العزى ابن امرئ القيس الكلبي حول (جزاء سنمّار).

جزاني جزاه الله شرّ جزائه

جزاء سنمّار وما كان ذا ذنب

سوى رصّه البنيان عشرين حجّة

يعلُ عليه بالقراميد والسكب

فلما رأى البنيان تم سحوقه

وأضَ كمثل الطود الشامخ الصعب

فقال اقذفوا بالعلج من فوق برجه

فهذا لعمر الله من أعجب الخطب

قصر الخورنق يعدّ مفخرة تاريخية عربية، فهذا القصر بناه عرب الحيرة اللخميون، متحدّين جبروت دولة فارس قبل الإسلام، في عهد (النعمان بن المنذر بن ماء السماء) ملك شاعر، قصده الشعراء والأدباء من كل حدب وصوب، وكان كريماً شجاعاً حكيماً، استطاع أن يحافظ على الهوية العربية من الضياع نتيجة لغزو الروم والفرس لبلاد العرب، إلى جانب ذلك فهذا القصر (الخورنق) يعكس جانباً مهماً من واقع الحضارة العربية الشامخ في عصر ما قبل الإسلام، فهو كما قيل عنه قصر عظيم، لم ترَ عين العرب مثله، فعدّ من غرائب الدهر ومن القصور الفخمة، إذ يتألف بناؤه من عدة طوابق، ويعكس لنا هذا الجانب ما توصل إليه الحيريون من علم ودراية في مجال الهندسة المعمارية، وذكر المؤرخون أن قصر الخورنق يعدّ مكاناً للراحة والاستمتاع للملوك الحيرة بما يوفره من هدوء وسكينة، فروي أن (النعمان بن امرئ القيس 390 هـ- 418م) أشرف ذات مرة من قصر الخورنق على النجف وما يليه من بساتين أعجبه ما رأى في البر من الخضرة والنور والأنهار وفي الفرات من الفلاحين.

وفي مملكة الحيرة تغنىّ شعراؤها بقصر الخورنق.. إذ يقول الأسود بن يعفر النهشلي:

أهل الخورنق والسدير وبارق

والقصر ذي الشرفات من سنداد

بين الصوت والصلة.. (رأي خاص)

كتب: أمين اليوسف

الحرف صوت

الصوت صلة

الصلة صلاة

بالنطق كان الصوت

هذا الصوت لفظ نغمة دعي حرفاً أخذ اسمه..

واستمر النطق بمخارج أصوات عنصرية أي حروف

ثم كانت الكلمة التي هي لفظ نغمات أصوات عنصرية للدلالة على معنى جالت فيه فكرة

أي أن الكلمة لحن ناتج من تسلسل نغمات الأصوات العنصرية (الحروف) أي لحن ملفوظ

ثم جاء رسم الحرف بما يوافق الحس فكان الرسم علامة موسيقية

وكان رسم الكلمة سلماً موسيقياً

ولما كان لدى الإنسان مستقبلات الحس النوافذ كان استقبال الرائحة بالشم والمشهد بالنظر والمادة باللمس والمعنى بالإدراك والمس والصوت بالسمع كان له وسيلة إرسال واحدة رسمية وهي الصوت وغير رسمية إيحاء وإيماء وإشارة.

فالصوت هو وسيلة الاتصال الرسمية بالآخر ومن هنا كان الصوت صلة بين شخص وآخر وهذه الصلة لها أساس فكري لا يمكن أن تصل الفكرة من شخص لآخر إلا بالصوت فهي ليست ذاتية تماماً بل مشتركة.

أما بالنسبة للصلة بين الشخص والرب فهي فكرية ذاتية تصل من دون إصدار الصوت

ولكن الفكرة هي بحد ذاتها مناجاة أي حوار ذاتي داخلي ونحن بحاجة لهذا الحوار لترتيب ما نريد الوصول إليه ويذهب علماء في تعريف التفكير أنه حوار داخلي ومن ناحية أخرى أن التفكير أصوات خفية بدليل الحاجة لها من أجل الترتيب.

ولما كانت الصلة بين العبد وربه خصوصية ذاتية تتم بالفكر فقط فكانت الصلة صلاة وهي مفردة وليست الصلاة فقط طقس عبادة بل هي طقس الارتقاء والحب والتأمل والرفعة وحب خطاب ركن وثيق نلوذ به.

فالصلاة هي الإدراك التام بحق اليقين أن الحبيب محيط بي وأنه يسمعني قبل أن أناديه إذ أناجيه

لا وساطة بيني وبينه أعتقد بربط اليقين أني إذ أناديه يسمعني ولا أضع الأعذار والمسوّغات ولا أخجل أن أعترف إذا أخطأت مهما فجر خطئي وفسق إثمي

لا أرى بيني وبين حبيبي فاصل

أنا لا أناجي إلا من أحب فأناجيه محبة لا فرضاً ولا نافلة ولكن الصلاة رياضتي

روح الصلاة محبة والصدق لسان الثقة

يا لهذه السورية؟

كتب: طاهر عجيب

-1-

أطلت الجغرافيا برأسها الشموخ، تتفقد كعادتها رسائل الأثير الذي يحمل إليها الصباح، حتى أن جاء يوم 15 آذار عام 2011 (1)، فإذ بها تصغي إلى صوت شجيٍّ لأم مكلومة تخاطب أبناءها، دققت في المصدر فتعثرت، فقد اعترض الشجا في حلق المتشاجية، فحزنت وتألمت، وصارت مأثورة الحال، وحال الأم يقول:

حق القوة يحاصر قوة الحق، ويجعله يرسف في أغلال القهر والظلام، والمنايا خبط عشواء، القذائف والكمائن، والحياة تتلظى بوهج شرور الحقد والثأر، والموال المألوف تضيع إيقاعاته في الوديان والساحات، والمنكوبون أصبحوا بلا صباحات، والحالمون صاروا أيقاظاً ينسجون حكايا الروح، والشعب الوفي يعانق الأمل بالانتصار، والنفس الطاهرة تتعطر بمسك الأرض والسماء، والراية الشمّاء يمسك بها فارس يجذر الأصل، لتنفسح شجرة الانتماء في مرآة الحياة.

-2-

جعلت الجغرافيا من مصدر الصوت حالة تعبئة عامة، فالعدو غاشم والأرض مباركة والديار في مهب الريح، جلجل النداء في سماء البلاد، وتثقّل الأثير برسائل الغوث، تُوحدها صرخة تقول:

إنا للنداء استجبنا، ولخيمة الوطن أقمنا، فتوحدت بنا الأرض والماء والسماء، لا تمايز بيننا إلا بصدق القول، وصحة الانتماء.

-3-

فذهبت الأمهات تدفع بفلذات الأكباد، والأبناء يزودون، وينفتح الصراع على أوسع الأبواب لحسم الجدل القائم بين قوى الخير والطغيان، وكان من إحدى تجليات الساحة، أن قام أحد المقاتلين ببث رسالة صوتية من موقعه:

« تراقص الحزن فوق صدري وجعل وجهي أسود، همس السهل: إنها الأمانة، وبكى من التقط الإشارة، رفع الجبل رأسه قليلاً، أطل من فوق العيون على الأكتاف الخضر، ذرفت الدموع غزيرة، وقالوا:

إن لنا جاراً هناك، في الساحل، يستريح على البحر، تناهى الصوت إليه فابتسم، رقَّ قلبه وتألم، ثم نادى:

الأمانة عندي صارت أمانة، كشفتُ لها من خضرتي، ودفعت بها إلى زرقتي، تستحم الآن في مياهي، وصار لونها أبيض(2).

-4-

زغردت نسوة البلاد وهنَّ يشهدن مآثر دفن جثامين الشهداء، وتوجهت إحداهن لتقديم واجب الرثاء، فخاطبت الجمهور:

« ومن أطياف البياض صنعوا قبراً وقالوا: إنه الشهيد، أين أم البطل؟ فالنسوة قد تحرّت حضرة المكان، فوجدت آثاراً تحمل أرقاماً لشهادات ميلاد مكتومة، فولولن وبكين وقلن:

« لقد فقدنا حاسة تبيّن رائحة الدلالة، وصارت الزغاريد أنشودة بلا عنوان، سنعود إلى البيوت ثكالى ونظائرنا مثلنا تائهات، يتعرفن علينا بالتخمين، وهنّ قائلات:

« قد تكون هذه أو تلك أم البطل، وفي العتمة تموت لغة الإشارات وأطفال يُفَع يمسكون بالتلابيب ويصرخون:

« أين نحن من هذا الخلط العجيب؟ نحن من نبكي، وقد شئنا حمل سيوف الآباء، فكل السيوف تشابهت، ولا دليل على الانتماء، لقد ضيعنا المجهول وصرنا بلا هوية..

حار المحتفون، المشيعون، وتحشرج المصلون، والجمع واجمون.

-5-

حوّمت روح الشهيد فوق المكان، فخشعت لها الأفئدة، وخيّل إليها أنها تقول:

وكان الدليل على الجريمة هي « الجرافة» حينما حملت « الكم» من جثامين الشهداء وألقت بهم في النهر، في حفرة النسيان، وأرواحنا تشهد: كنا بالعشرات وصيّرنا الإرهاب الدولي إلى مزق بين المحتويات بعد أن فقدنا الوسيلة للدفاع، والأمل بالنجاة، ومشاهدنا تقشعر لها الأبدان، إلا أننا كنا الوسيلة التي لطخت بها جبين الإنسانية والإنسان..

-6-

زغردت النسوة مرّة أخرى، وتشهقت، فانتدبت إحداهن نفسها للتعبير عن المشاعر الموحدة للموقف، فارتجلت كلمة من شأنها إثارة الحماسة في الوجدان.. فقالت:

الحياة، ما هي إلا فصول مسرحية، تقع أحداثها فعلاً على خشبة المسرح، وأبطالها يعيشون في أحلام تتحقق حيناً، وآمال تخيب أحياناً، والطريق طويل وطويل، محفوف بالمصاعب، والصدق والجرأة زاد المرء للسير به إلى الأمام لبناء عزة الوطن وازدهاره، ذلك أن في الصدق معزة للنفس وقوة لها، والأوطان لا تُعزّ إلى بعزة أبنائها..

هذه الحياة لا تتدحرج إلينا من تلقائها، إذ لا بد من دفعها بالأكتاف، وجرّها بالأيدي، وإسقاء تربتها بعرق النفس، واشتمام المرء لطيب عرقه، دليل على أنه موجود، وشتان بين وجود ثابت وحياة قائمة على الزيف، فالإنابة ليست إلا إلغاء الأصل..

-7-

ما فتئت الأم الثكلى تتفقد وجهها في المرآة، فما إن تتضح الصورة حتى تغبش، فالمدنية المتوحشة ما زالت تتربص شراً في المكان والزمان، والأبناء يشحذون الهمم على مبرد السيف واللسان، فالسنون الاثنتا عشرة(3) عجاف، واستمطار الرحمة بيد الرحمن، وعندما بدأ الغيث يروي النفوس العطشى، حدث ما لم يكن في الحسبان، فبينما كانت الأم المكلومة تقدم صلاة الشكر والعرفان، إذ بالأرض تهتز تحت الأقدام ويحدث الزلزال(4).. فذهبت تناجي:

يُعرّفونني بأنني صانعة الحضارات، وأم الأمهات، والدّالة على العلم والبيانات، والملاذ الآمن بين الملاذات، فإذا كان قدري عبر العصور والأزمان دافعة الضريبة الأكبر للحفاظ على الجنس البشري من الضياع والنسيان، فإليك يا قدري أشكوك أمري، فالمستوحشون أوغلوا فتغولوا، والإنسانية فسدت فتعطنت، والعرفان بالجميل ضاق به الحال، وفلذات الأكباد تقول:

لقد تزوجنا المحن، نقبل على ولادات وندبر على شهادات، تمضي بنا السنوات، والسُنن عندنا ألفت الحياة، وهذا قدرنا، ورحم الله شاعرنا العربي الكبير « أبو القاسم الشابي» حين قال:

إذا الشعب يوماً أراد الحياة فلا بدّ أن يستجيب القدر

بداية الحرب على سورية

مجزرة جسر الشغور /2012 التي راح ضحيتها ما يقرب من (90) شهيداً

الحرب على سورية

زلزال 6 شباط 2023

رحى الذكريات أنس الحجار

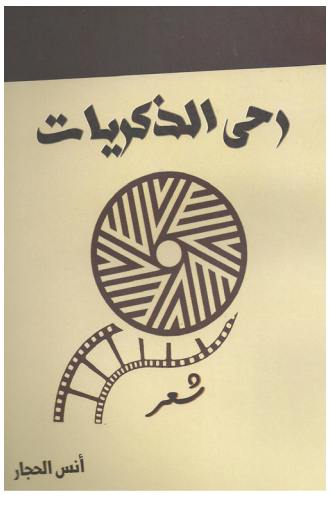

ضمن سلسلة إصدارات دار "بعل" صدر ديوان شعري جديد للشاعر أنس الحجار حمل عنوان "رحى الذكريات".

أهدى الشاعر قصائد ديوانه إلى الواقفين على شفا خفقة من الوجد، وإلى التاركين خلفهم ماضياً يسبقهم بمئات القصائد، وإلى من عشقهنَّ وعشقْنه دونما اعتراف وإلى من رمت نفسها انتحاراً من أعلى قمة بقصائده، وإلى الفراشة التي حطت على ضوء قصائده بعد أن أخرجته من بئر الصمت...

قصائد فيها فيض من روح تسامت على الجروح وعانقت خيوط الشمس في بوح عطره نجيع مقدس من حب وعشق وذكرى وتراتيل في محراب الوطن...

ستائر الحضور والغياب عصام يوسف حسن

صدر ديوان جديد للشاعر عصام يوسف حسن حمل عنوان "ستائر الحضور والغياب".

أهدى الشاعر قصائد ديوانه إلى كل الوجوه التي لامسها النور، وأبيح لها الحضور، وإلى كل الوجوه التي حجبها الرحيل، وأطفأها الغياب على جانبي ستائر العمر المرتعشة برياح الأقدار.

تشكل قصائد الديوان حالة من انسياب دافق فكّ ضفائر الصور الشعرية والانزياحات والتخييلات فأتاح للأبيات التحليق في فضاءات جمالية مميزة ترقرقت فيها المشاعر الإنسانية النبيلة كحبات ندى على عناقيد مبشرة لوحتها خيوط الشمس.

ظلل الأبيات شيء من غمام الحزن الذي لا يبدده إلا نبض حب عميق يخفق بالوجد ويمسح بالوداد والفرح البكر دموع النسرين والنوار

الأحلام المؤجلة

كتبت: رند قنّب

مثل هذا اليوم من العمل والأحلام المؤجلة، كم ضحكت!

خرجت منتصرة من جولة أرهقت نفسيتي بشدة، أفكر بأحلامي، الصغيرة منها والكبيرة، من أصغر حلم فيها يومَ كنت طفلة لأكبرها يومَ صرت امرأة، نضجت، ونضجت أحلامي معي، ولكنها ما زالت مؤجّلة.

يضيء القمر بشدة ويقدح نوره الرمادي في سماء المدينة، يتقدم خطوة نحوي، وأنا أتراجع خطوة للوراء خائفةً أن يلوّن الظلام بشرتي الصفراء، فأضحك من فرط جمالي الذي وصلت له، امرأةٌ لوّنها الظلام! أصرخ أقول أصبحت أميرة الحكايات، تدخل أمي فتطفئ الأنوار يتبلع الظلام أحلامي، لم أعد أميرة حكايات، فأنام فارغةً.

يرودني حلم آخر عن الفراق، عنونت ذلك الحلم بـ"ندبة العمر"؛ بنتان تتعانقان عناق الدهر، تجهشان ببكاء قرب منزل أسرارهم، ومن ثم تسافر كل منهما إلى بلد خوفاً من براثن الحرب، أستيقظُ وأنا أشهق، حبات عرق على جبيني، وأفكر؛ منذ خمس سنوات إلى الآن وأنا أحلم ببناء مدرسة للأطفال لا يفترقون فيها عن بعضهم إلى الأبد، أطفالٌ تتعانق ولا تقطع الحرب عناقهم، أسعل وأختنق بسعالي.

طلع النهار، وغاب الليل أمشي نحو النافذة وأرى من حديقة الزهور، تغرق عيناي ببكاء لوهلة، أتذكر يوم قلت لي: "سأزرع لك حقول كلها بالورد جميعها وأفرش غرفة الكتابة بزهور أحببتها، كما تحلمين"، وهذا الحلم مؤجّلٌ أيضاً.

التضحية والهروب كانت المخلّص الوحيد من العذاب هذا! يومذاك خفت من الجميع، من مواجهة الحب أكثر يتراءى من بين الأزهار ظلك فأبكى، وأعزي نفسي بكلمات سأكتبها مبتسمةً ودمعةٍ تصل إلى شفتي، وأحقق حلمي كما تريد، في نهاية المطاف لربما أرسل كتابي تقرأ به سطور تضحيتي من أجلك.

حلم آخر يربكني كثيراً؛ الغربة الوطن، الوطن الذي أغدقني بمصائب وفرقني عنه بخيبات أمل، أكلت قطعة من روحي، تنهدت بصوت شبه مسموع سأبتعد وليفنى تراب الوطن وحده! وآخر حلم استهواني جداً بسنوات الأخيرة بعد فراقك، لشدة وحدتي بقيت أسامر الكتب والشعراء وأناجي نفسي بأحلام لا مناص منها، سأفتح مكتبة وسط المدينة مملوءة بكتب بأسعار بخسة تزيل سجون الفكر والمعتقدات الخاطئة سائرة بالمجتمع" الشعراء العرب والأجانب، أدب المشرق والمغرب كتب نيرودا وكافكا، جميعها.

أخرج مسرعة، رأسي مرفوع وكتفاي مشدودان، أنزل الدرج هرولة، أخاف الوقوع، أعود للواقع رويداً رويداً وأضرب قدميّ يميناً وشمالاً مثل مخبولة، أضحك وأهذي بكلمات المادة "هشت بهشت"...

تصرخ المراقبة من بعيد بصوت أبح مخنوق، أكمل نزولي وأشير لها بإيماءة ضبابية تدل على السخرية، وأهذي مجدداً..

أطلق زفرة بالهواء، أوف، أطقطق أصابعي وأتابع سيري البطيء وأنا أفكر بثلاثة أمور، أصغر الأحلام المتبقية: كيف لي أن أصل للبيت من دون الانتظار طويلاً بالمواصلات، وأكمل مشواري إلى المركز الثقافي، تخيلت نفسي فوق ظهر الحمار أرحم وأسلم، غصت بالفكرة إلى الدرجة أن انزلقت، فأمسكتني يد فجأة من ورائي وأنا أجفل وأضحك من فرط سذاجتي.

__ زياد، هل هذا أنت؟

__ كيف سار الامتحان؟

__ جيد جداً..

من فرط تفاخري أشد نظارتي على أنفي فجرح..

يطرف بعينه الخضراء اللون بنظرة خجولة ووجلة، وأقول لنفسي: كم أحب هذا اللون! وذبت بنشوة الغرام الأولى كمسلسلات تلفزيونية ورحت سارحةً بأفكاري: زجاجة فودكا قرب النهر وقبلة وعناق، وإذا اكتمل الحلم فسأغني له قصائد نيرودا كلها.

كان يتحدث عن الإصلاحات المتنظرة، الطاقة الشمسية البدلية وغير ذلك، ولم أعلق على أي كلمة.

أقول له:

__ أعتذر شردت قليلاً،

يقطب حاجبه قليلاً بسبب قلة اهتمامي.

يمد يديه بوردة حمراء، يقول: شكراً لك، الكتاب رائع سيكون لك شأن خاص في هذا المجال، وأنا.. أنا.. معجب بك..

احمرت وجنتاي، ينقبض قلبي وتلمع عيناي، أمسك الهاتف كحركة اعتيادية ادعاء للامبالاة ويكمل كلامه دون أن ينظر لي: وددت أن نحتسي القهوة، ما رأيك؟

صدمت للبرهة أجابته بحركة آلية عديمة المشاعر، قلت: لدي موعد تسليم الكتب، غداً..

يقف ثابتاً مصدوماً بمكانه يفترسني بنظرات حنق من جهة ونظرات الحب من جهة، يدمدم بنبرة خشنة.

__اتفقنا..

قالها وفل مسرعاً، بدأت أضحك لفرط سذاجتي وحماستي.

أقف في موقف الباص أنتظر المعركة جديدة وأنا أحلم بكأس فودكا، وقصائد نيرودا، والنهر، ستبقى على قائمة أحلام مؤجلةً ليس أكثر..

أومأت بنظرة حولي، ليست أنا فقط بل الجميع أحلامه مؤجلة، وأزفر زفرة بهواء وأنتظر، وكم أكره الانتظار!

ورائي المرأة تسند كتفيها وتشخر، اضطررت أن أصنع من أوراقي مروحة هواء، انتصب بكل شجاعة لأنتصر بالمعركة يدفعونني، أزاحمهم وأصرخ تنحوا جانباً، أحمد ربي لم يحصل شيء لي بعد أن جلست.. أُبعد الغبار منتصرةً

أعود لمراجعة لأحلامي المؤجلة!

انتصبت من جديد وتدفعني المرأة النائمة نفسها فور استيقاظها، استمر المشهد هكذا طوال ساعتين، حسناً المرة الأخيرة: أصرخ وسط الشارع إلا النظارة، خالتي..

يتوقف الباص ملوناً كباص ضيعة ضايعة، أتهاوى بالصعود إليه وأجلس، تتمم امرأة أخرى بجانبي.

"مين اللي مزعلك هيك، حبيب القلب!"

أجأر بها برهة كم أرغب بخنقها! أحسست بشعور غريب لوهلة، تجمدت دموعي للحظات من فرط التعب والحزن وكل شيء مر، غفوت خمس دقائق فقط جفلت بعدها على صراخ السائق "انزلوا"..

أمشي بعيداً أترنح وأعرج، خطوة خطوة بالإعياء، أشتم البلاد وضواحيها مع كل وخزة ألم أحسها بجسدي كعجوز تقف كل لحظة للراحة، هي الحمية وخسارة الوزن وأضحك من جديد، تابعت السير إلى وجهتي وصلت إلى باب المركز وسقطت سقوطين؛ السقوط الأول خيبة أمل التي خنقت عنقي بعد كل المحاولة مرجوة إلى الخلاص والتحرر، سقوط في عتمة لا نور فيها، فبعد كل ندبة حصلت مللت من المواجهة حتى أبسط الأمور، وأبسط الأحلام، السقوط الثاني في التخلي عن أحلام دامت الدهر وإلى الأبد ستبقى مؤجلة،، متعبة من كل ما يدور هنا، ومن كل حلم أدفنهُ في عتمتي وأقول: "أحلامٌ مؤجلة".

في المقهى البحري

كتبت: انتصار بعلة

جلست «رؤيا» في ركن منزو من مقهى، يطل على البحر، أمامها طاولة وفنجانا قهوة، متمسكةً بفكرة عدم السفر.

كان قد شرح لها «جمال» أن أبواب المستقبل مقفلة في وجهه، وهناك ستفتح له الحياة أبوابها على مصاريعها، وهي مشحونة بالتوجس والذكريات المؤلمة: «ترى كم من حوادث يمكن أن تجري في برهة متلاحقة من الزمن في هذ البلد، قتل.. تهجير.. موت.. فراق الأحبة!..».

وما لم تكن تتوقعه أن تتحول فكرة سفر «جمال»، إلى واقع أوجع قلبها في آخر لقاء بينهما.

حينذاك لوحت له بيدها، وهو يستقرّ في بطن الزورق المثقل بالمسافرين.

كان الغروب يوشك أن يودّع خيوطه، ويذوب في الأفق البعيد قبل أن يرخي المساء ستارته السوداء على مسرح البحر.

انطلق الزورق يشقُّ عباب البحر، ويترك خلفه خيطاً أبيض من رداء ثلجي رامياً زبده الناصع على وجه الموج.

تتساءل: «يا ترى سيحقق أمانيه هناك، وهل سيتزوجان بعد خطوبة دامت أربع سنوات».

تراقب الزورق يعلو وينزل، موجات عالية تتلاطم بشكل جنوني ليفقد توازنه، بعد ذلك صراخ.. وبكاء.. وتوسل.. لينتهي كل شيء في لحظة.

لقد حذرته من ركوب هذا القارب لا سيما وهو لا يجيد السباحة.

أحست أن البحر كان متواطئاً معه ضدها.

كانت تتمنى أن تراه يتخبط في الماء محاولاً التعلق بأي شيء، أن تسمع استغاثته، أن ترى ذراعيه تحاولان الإمساك بحبل النجاة...

ذهب كل شيء الآن جسد إلى بطن الأسماك، وروح إلى السماء، ستظل لسنوات تدحرج كرة الثلج التي علقت في طريق مستقبلها، لتزيحها، لكن عبثاً، استسلم لأحلامه وبالغ في لا مبالاته بمشاعرها، ووصفها بأنها امرأة مستسلمة، حياتها رتيبة.

كانت حاستها السادسة قبل عدة أشهر تخبرها ألا تدعه يسافر لأن السفر مثقل بالمخاطر والبحر غادر، وها هي تذرف دموعاً سخية الآن.

كانت دموعها تبلل وسادتها عندما استيقظت على رنة هاتفه، إنه جمال يخبرها بأنه ينتظرها في ذلك المقهى البحري لاحتساء قهوة الصباح معاً.

رقص الغياب

كتبت: رجاء نور الدين العلي

أن تجعل جسدك يهذي بإيقاع موسيقاه، أن تحيا العمر وأنت تحصي كمّ الخيبات، وقليل السعادة، أن تبدأ يومك باستذكار ساعات العمر التي مرت هباء، تحصي الحب والقصائد التي دوّنتها، أن تطرز الروح بشفيف الشفق الممتد أمام سماء ناظريك، أن يأخذك الرقص إلى الغياب وتسامر دراويش التصوف وأنت مملوء بنشوة التماهي في الأرواح... أرواح تائهة تأخذك إلى مقامات العشق المنسي وأصوات المغنين في أول العمر، يا لعذوبة تلك الآهات التي تسكن الروح وتأخذك إلى سابع رب مسجى ينحت تفاصيل الوله في الروح.

إلهي مُدَّني بالعشق وارمِ بي في غياهب ملكوتك علني أحظى ببعض من نشوة وكثير من الحب... قليلك كثير علي يا إلهي وكل كثيرك يغمر وجدي ويجعلني أعيش احتراقك دون الترمد، أبقى مجرد حطام لذيذ يهذي النشوة كخارج من حمام مغربي، ينفخ في النار ويسبح في دست من سوسن، يطلُ من شبّاك يغسله الدمع وتسكنه الحمائم تهدل فينخ ألف عاشق ساعة انهمار دمعك الوردي الموشى بدماء صبية كانوا قد ضلوا طريق النهدين، فكان البكاء ندماً على ما ضلوه وما فقدوا من التعبد لوجنتين أكلهما الكرز وكللهما الغار والريحان..

إلاك لم يعشق أولئك الصبية...إلاك لم يعرفوا ولم ينسجوا لغير عينيك ألف قصيدة ووردة... ومن كثرة الأشواق انخلعت صدورهم وما بات من نهارهم مكان لغير موسقة الأغاني وفي ليلهم يعانقون النجوم ويسوون مسارات الأقمار في ليل حالك على أكتافها يتدلى بغنج الآهات وهفيف المسك في دهاليز التجلي ومذابح الأنين.

النداء الأخير

شعر: عبدالله العبد

تذكرتني
ونسيتَ صلاتكْ
وألحقتني
بالقطار
وفاتكْ
وعلمتني
كيف أصبح
عود ثقابٍ
وأشعلت
مني حياتكْ

وأغلقت عينيك
حتى تراني
وبالغت باسمي
فصار أداتكْ
وأغرقت نفسك بي
وربطت يديك
ولم تتقبل نجاتكْ
فكيف تميز
نفسك عني
وقد صرتُ
من فرطِ ذاتي
ذاتكْ؟
فيا ليتني
كنت أقدر
لما تكسرت بي
أن ألم شتاتكْ
ويا ليتني
كنت أقدر
لما تعطشت لي
أن أكون فراتَكْ
أتذكر يوم كذا وكذا
إذ تنكرت بي
وأثرت التفاتكْ ؟
على
حائطٍ شاهقٍ
كنت تمشي
وصبري عليكَ
يزيد ثباتكْ
تقول :
من الصعب
ألا أطير
لألحق
في كل وادٍ فتاتكْ
نفخت بي الروح
حتى تمنيت
ألا أعيش
بيومٍ وفاتكْ
وفي مشهدٍ ما
مع امرأةٍ
كنت أعجبُ
كيف انتقيت
فتاتكْ !
أتعرف ماذا
يثير فضولي ؟
بماذا زرعتَ
بأرضي نباتكْ؟
وأصبحت ترعى
ثلاث دوابٍ
بمنسأةٍ
وأغني بياتكْ
وتخصف نعلك
مثل نبي الزمان الأخير
وأحلب شاتكْ
أجيب :
من الصعب
ألا تطير ورائي
ولكن تحرَّ دواتكْ
وخذ خطواتكَ مني
ببطءٍ شديدٍ
ولا تمتحنْ سلحفاتكْ

عطايا مُقدَّرةٌ

شعر: عبدالناصر الجوهري - مصر

مُنْذُ أنْ كنْتُ في بطْنِ أُمّي؛
وما كفَّ مثْلي عَنِ الرَّفْسِ،
والغَضَبِ
بينما
حين جئْتُ الحياةَ،
ونازلْتها فـ سَعَى هاتِفُ الشِّعْرِ..
في طَلَبي
ومجازي على حالهِ مُسْكِرٌ،
لا تقاسُ به كَرْمَةُ العِنَبِ
خلقَ اللهُ لي بالأضالعِ مُتَّكأً
للقريحةِ؛
حتى ملأْت بها كُتُبي
ما لدى يُقارِعُني،
يعْجزالمُتشاعرُ عنْهُ،
فـ ليس يُبدَّلُ بالذَّهبِ
وغزيرٌ بـ جَنْبى إلْهامُهُ
مثل "صنَّاجةِ العَرَبِ"
وكفى مُرْهفَ الحسِّ كوْخُ اعتزالٍ،
وما تظنُّون
أنّي اسْتقَمْتُ على الهَرَبِ
فالحقيبةُ ليس بها
غيرُ إرْثٍ ثقيلٍ،
وفطْرةِ طَبْعٍ ونزْفٍ منَ الحقَبِ
والخُطا باتجاهِ الدِّيارِ،
تحنُّ إلى وِجْهةِ العَتَبِ
مثْلما أدْبرتْ
فكذلكَ شعْري تَولَّى..
إلى أَبْطُنِ النَّسبِ
كُلَّما نظرتْ مُقْلتي للسَّماءِ؛
لـ ترْقُبَ إطْنابَها
ترْتوي الذَّاتُ مِنْ مُعْجمِ السُّحبِ
إنَّني راسخٌ
كالثَّرى
ما انْهزمْتُ بـ حوْمةِ مُغْتصبِ

حَجَلٌ أَيْقَظَ أشواقي

شعر: صلاح الدكاك ـ اليمن

أقرئي نهديك من ذاوي شراييني السلاما
واطلبـي لي منهمـا الغفـران، إن مـرّت عصافـيري
على الكرمِ كراما
وإذا حطـت علـى (رمـان مـران) ولم تنـكأ نـدى
(زيتون راما)
وإذا ناحـت لـ(تـين القرويـات الذبيحـات بهـران)
وغنَّتها الغراما
....
أقرئي مني السلاما
حجلاً أيقظ أشواقيَ بالأمس وناما
حجلاً في غابك الصاعد سرواً ورخاما
ثم ناراً ورغاما
ثم أنسام خزامى
ثم نهراً من نبيذٍ وغماما
ثم سُكراً وفطاما
ثم منفى وخياما
وشعوباً من يتامى
....
أقرئي مني السلاما
وتراً علقني من قرطك الشاهقِ
كالمَوّال ينثال ذبيحاً مستهاما
وانثري غلمة أشواقي على الحُرجِ الخرافي،
الذي يكنز أخبار الغد الآتي وأسرار القدامى
وعلى الجرح الذي ينزف في البال دواما
وجعاً حلواً وعطراً ومُداما
...
آه يا غمد غواياتيَ ما أشقى الحساما
لا صفا العيشُ يمانياً ولا رقَّ شآما

يسائلني الحزن

شعر: سميرة فاضل غانم

يسائلني الحزن من أي البلاد أنا؟
أنا أخت يوسف
ولوعتها وانتظارها
من أرض طغى المكر على أنبيائها
أخته التي لو وُلدت لصرخ قلبها وأنقذته
أنا ابنة الحسين
وُعدت أن أولد ولم أرَ النور
لأن النخيل ما وفى
وحجب الخطايا عن عين السماء
أنا دليلة التي ماتت ملعونة لأن الناس أحبوا شمشون أكثر
دليلة التي ظُلمت ألف مرة
كأرضي التي سُلبت ألف مرة
أخفت ضعفها خلف قناع غواية
واشتهت إغفاءة طمأنينة واحدة ...
ويسألني البحر أي دخيلة أنا؟
أنا الحلم الذي امتطى كل الصواري وما أوصله شراع
قدمتُ من أنهار الدمع
أبحرت كنوح
نفخت الآلهةُ همسَها في سفني
وحملتها ريح العناية أزمنة من المحن
حتى ما عادت تألف الأمان
دخل قابيل سفينتي صديق نوٌّ
وأنا
أنا الهاربة أبداً من لمعان سيفه
في أقبية الشرق الخبيثة...

المذراة

شعر: سامر كحل/ أربيل

سالَ
عن لقمتي
السمن..
ولم يَعُدْ لطَعمِه
السُّكّر..
مذ هربَت بنعلي الصغير
الطّريقُ التّرابيةُ
أمامَ جرّافة رئيس البلديّة...
تلك التي كنّا نُعبّدُها
بضحكاتنا..
وبالركض
خلفَ قاطرات أكداس الحنطة..
دونَ أن ننتبه
لما يتساقطُ خلفَنا من سنابل البهجة
التي سرعانَ ما كنستها الزوابعُ..
وأذرت في عيوني
ترابَ الطريق
التي هربت بنَعلي..
يومها..
كان ما يزالُ الصباحُ
يُطلُّ من شرقيّ «السّهوة»
على ظهر الفجر..
والشمس
تلبَسُ طربوشَها المُشنشل
وتخرج بكامل حليّها
وحدها..
دون أن تتلفّت..
كان صوت الصافرة
للطّاحونة
وليس للرعب..
والمناجلُ
للحصاد..
وليست للشعارات..
والقهوة المُرّةُ في المضافات
للغانمينَ بالكرامة..
وليست في مكاتب العقارات
لتجّار الأعراض والأوطان..
والمجاز
لقدمي أُمّي
حيث تخطرُ في أرض الدار
وخلفَ خُطوتها
تُرندحُ أزهارُ البابونج
بمواويل الطيب..
ولم يكن الانزياحُ
حكراً على اللغة..
لردّ الفُرّة على الجبين
أيضاً..
وبَرم المغازل
على الأفخاذ..
لدلقِ الماء
من ثغور الجرار
على أكتاف الصبايا..
بعد أن يملأنها من نافورة الضّيعة
التي تفسّرُ لكلٍّ منهنّ حلمَها
وهي تُدلي لها بالحديث
في جرتها..
كان الهمُّ أيضاً
يُحملُ على الأكتاف..
كم كنا نحلمُ أن ينزلَ لحظةً
لنحتلّ مكانهُ على أكتافِ أبي..
إلى أن نام
في زاوية روحه
تحت شجرة الجرنك التي
ما تزال تقصُّ عمر اليباس
في أحداقه
وتفسره لي بصمتها الأبدي
بعدهُ..
وامتناعها عن النَّبْس ببنت زهرة
أو عقد أحاديث مثمرة..
ها هو النهار..
يظلُّ نائماً حتى الظُّهر
ملتحفاً ضُحاه..
والديوكُ..
نكّست أعرافها
ولم تعد تكترث
لنشاز الفجر
والنمالُ
تعود من فتوحاتها
خائبةً..
بعد أن أذرت حالها
المذراة..
ونزلت عن لوحها العاطل عن الدوران
في «الصيّافة»
أغاني الدّواريس..
جفّ حلقُ الماء..
وكفّ السنديانُ
عن ذكر الرّيح..
وأنا..
ما زلتُ أستذكرُ
طعمَ مضغة السّكّر..
وأنظرُ إلى بقعة السمن
التي ما زالت متفشيةً
على قميص روحيَ
المهترئ..

«السهوة»: قرية الشاعر في الجنوب السوري.
«الصّيافة»: ملعب الطفولة.. وبيادر القرية.

هل أحَبَّك

شعر: محمد نذير جبر

دفء يديكِ من أزيز الريح
هل قبلك على جبينك
وقبلَ عينيك
هل أسال من مقلتيك كحلهما
واستعاد وجهه أمامك؟
أرمـى كومـةَ أتراحـه كمـا تُرمـى
الغصون في النار
وانتشى..؟
ما زال الطفل بداخله يبكي....
يعلـق حزنه مع معطفـه على ذراع
دالية
يقبلُ أوراقها
يشير بعينيه إلى الكرسي
بعينيه اللتين لا تبكيان
تضحكُ
ترقصُ
تلمعُ عينه
لكن
مازال الطفلُ بداخله يبكي..
عانقـك كمـا يعانـق اليتيـم قـبر
والدته
حدثـك عـن الجنون وحـط كتفيه
على ظهر الكرسي
ركضتما تحت المطر
وتحت الليل
وتحت الحب
دخنتما على الرصيف
وأوقدتمـا قنديليكمـا في وجـه
القمر
سخرتما من سكونه
ومن ضوئه الخافت
ومن يده الطريةْ..؟
حينما افترقتما
سالـت مـن شفتيـه قبلـة بقيت في
خياله
تحسس على ظهره أثر العناق
بحث عن شعرك العالق في ثوبه
وراقب بحذر قط
علامة شفتيك على الرقبة
ركض حينما افترقتما
ركض فرحـاً كجنـدي عائـد مـن
الحرب
وكفتـاة تخرج من المطـار لعشيقها
بعدَ سفرٍ طويل..
مشى على رمش ذكرياته
يلعنها.. يخبئها.. يحذفها..
ويحـط لقاءكمـا علـى مقدمـة
الذاكرة
دخن سيجارةً
حزمَ ابتسامتهُ وراح إلى عمله
صافح رفاقه على عجل
عمـلَ بجهـد لينسـى أخطـاءه في
لقائكما
تفقد علامة شفتيك على رقبته
وفي لحظة بؤس
وقف أمام المرآة
فرآه
رآه مغلقاً
مرتجفاً
متنهداً متلكئاً رآه
رأى الطفلَ بداخله يبكي...

العابرون إلى الصباح

شعر: محمد البندر

العاشقونَ
يعلّقونَ على حبالِ الضوءِ
ثوبَ ظلالهم
ويسافرونَ إلى جهاتٍ
في الجنوبِ
ويعبرونَ على شريطِ دمائهم
والخطُّ عند الأفقِ ترسمهُ
حوافرُ خيلهم بين
السحابْ

العابرونَ
إلى صلاةِ الصبحِ موعدُهم
صهيلُ
مآذنِ الأجراسِ
يصدحُ في فضاءِ الزيزفونِ
يطلُّ من أعلى الحكايةِ
يا «رضا» أذّنْ×
فهذي التوتةُ الحمراءُ عندَ
البابِ
أتعبها النوى
«ورضا» مؤذّنُ قريتي
كانتْ تنامُ على تهدّجِ صوتهِ
اللهُ أكبرُ يا رضا!
ويدورُ في كلِّ الجهاتِ مفتشاً عن
وجهه
اللهُ أكبرُ!
والصدى يمتصّهُ الوادي
ويُرجعُهُ
الضبابْ

المتعبونَ
تنامُ أعينُهمْ، ويقلقُ سيّدُ
الأحزانِ
فوق جفونهمْ
يحصي جماجمَ أهلهم
يحدو لمقبرةٍ تزاحمَ في رخامِ
ضلوعها
جسدٌ تآكلَ منذُ ألفي طلقةٍ
فتَحتْ به قبراً يعذبُهُ السكوتُ
وينتشي في قعرِ وحشته
الترابْ

النائمونَ
على أسرّةِ موتهم
عادوا إلى جبلِ الجليلِ
وأمعنوا في الانتظارِ لقادمٍ عندَ
الصباحِ
تحفُّ موكبهُ الرياحُ
فتشتهيهِ الأرضُ بعد
بلوغها سن الرحيلِ
ليظهرَ البحرُ المضرّجُ
بالرمالِ
ويُخرجَ الشطآنَ من أجداثها
ويصبَّ في نهرِ الحقيقةِ
ما توارثَ عن قبائلها
العتيقةِ
أو تواترَ عن ينابيع
الغيابْ..

× الحاج رضا مؤذن قريتي أذكره كان يصعد أعلى المئذنة عند موعد كل أذان حاملاً المذياع اليدوي ويدور في الجهات الأربع منادياً «حي على الصلاة».

قصيدتان

شعر: حيان الحسن

كم في ضلوعي من حنين

البحر فلسفةُ انعتاقيَ واحتراقيَ
هذي الزرقة اللجيّةُ
الأنواء والأمداء
بعضُ مدايَ
وجهك بسمةُ العمر النديّ
ووهجهُ
وصباحُهْ
كمْ كنتُ أحلمُ أنْ أحلّق فيكِ
نحو العاليات من الجبال
وأنثني
فأنا وحقّ هواكِ طيرٌ
ضاع منه نشيده منذ الأزلْ
وكسرتُ أكواب الغزل
طيرٌ كما تتخيلين
صُداحهُ
لكن أُهيضَ جناحُهُ
كم في ضلوعي من حنين
لاحَ فيه الوقتُ صحواً
صيفُهُ أتراحُهُ
ما كانَ أقساهُ انتظاريَ
والمنى
في شرفة الوعد الجميل
فراشةٌ تَخشى لَهيب
الشامتينْ...
لكنّ قلبي مثقلٌ بالغائبينْ...
نزّت عليه جراحهُ
أيكُ المسافات الحبيسة
أنشبتْ أشواكها
فينا
أغاني الموت تصدعنا
وصوتي اليومَ تخنقهُ الرياحُ
وكم رجوتُ
بأنْ يفكَ القيد عن حزني
ويُطلقَ من لذيذ البوحِ
فيَّ سَراحُهُ

(وعرّتني الأمنيات)

كأنّي على مفرق
العمر
تهمي عليّ السنونُ
العجافُ
أنا اللاهثُ المستفيضُ
وراءَ الأماني
وترهقني مُوحشاتُ الدروب
يضيقُ بيَ الوقتُ
يُصرفُ في حلّ لغز
المتاهات
وقتي
وها عبثاً أستمرُّ
فأحصي جوَى كلَّ خيبات
عمريْ المريرات
أبكي وأبكي
أعدّ ثواني انطفائي
هنا شاخَت الأمنياتُ
وعرَّتنيَ الأغنياتُ
فتهتُ
شريدَ القفار
وهمتُ على وَجهيَ
المُتعب الحرّ
تهتُ لدى كثرة الطرقات
وضاعَ على طول هذا
الهجير ضياعي
وَغاب صدًى كان فيه
يجلجلُ صوتي
ألا يا لَطول الأسى
فاض حزني كما
جبل
فوقَ صدر الأماسي الطوال
أما آن أنْ ترحلَ الترّهاتُ
ويحيا المَواتُ
وتتركني ها هنا
هانئاً
بنسائم غفوة عُمريَ
ها هو ذا البطءُ يزحفُ
نحوي سريعاً
أراه بعيداً قريباً
قريباً غريباً
غريباً أليفاً عجيباً
ينادي بصوت الحياة
ألا طاب لي فيكَ
موتي

الضفة درع القدس

بمناسبة يوم القدس العالمي، وتحت شعار "الضفة درع القدس" نظّم اتحاد الكتاب العرب بالتعاون مع مؤسسة أرض الشام فعالية ثقافية تكريمية بعنوان "القدس، استمرارية المقاومة، حتمية النصر"، وذلك صباح الخميس ٢٠٢٣/٤/١٣ في مبنى الاتحاد بأوتوستراد المزة.

استُهلّت الفعالية بالوقوف دقيقة صمت لأرواح الشهداء، ثم بعرض فيلم قصير أعده الاتحاد عن المشروع الوطني الإبداعي لتوثيق بطولات الجيش والشعب العربي السوري، وما قدمه الأصدقاء والحلفاء من تضحيات أفشلت المخطط الصهيوني . الأمريكي الإرهابي، ومنعت التنظيمات الإرهابية من الوصول إلى كثير من الدول العربية والإقليمية والعالمية، وقد تجلى هذا المشروع الذي اشتغل عليه فريق أدبي ثقافي في ثلاثة أجزاء مطبوعة من كتاب "حكايات أثيرة".

إن خلاص فلسطين غدا أقرب بكثير، وإذا كان شعار هذا اليوم في هذا العام "الضفة درع القدس" فإن الواجب علينا جميعاً أن نجعل من عواصمنا ودولنا وأنفسنا جميعاً درعاً للقدس وفلسطين حتى تحقيق النصر والخلاص.

وفي كلماتهم التي ألقوها على منبر المناسبة أكد د. خلف المفتاح المدير العام لمؤسسة القدس الدولية في سورية، والباحث د. حسين جمعة رئيس اتحاد الكتاب العرب الأسبق، والباحث والكاتب المدافع عن فلسطين وعدالة قضيتها د. ابراهيم علوش، والأسير الفلسطيني المحرر من سجون الاحتلال أبو جهاد طلعت، وأ. نصر محسن المشرف على مشروع "حكايات أثيرة" وأ. حيان الحسن مترجم الجزء الثالث من المشروع، وأ. باسل الدنيا مدير مؤسسة أرض الشام على أن القدس باقية خالدة في ضمائر شرفاء العالم، فالقدس ليست عاصمة فلسطين وحسب بل هي الجغرافية الروحية لملايين المؤمنين بقضية فلسطين والرافضين للظلم الذي وقع على شعبها نتيجة غطرسة وبطش وجرائم الاحتلال الصهيوني، كما قدموا جزيل الشكر لإيران الصديقة الوفية الشريكة في النضال والتضحية والانتصار، فهي التي آمنت بأن قضية فلسطين وشعبها قضيتها في وقت تخلى فيه الكثير عن واجباتهم تجاه الشعب الفلسطيني.

كما أكد د. محمد الحوراني رئيس اتحاد الكتاب العرب عن سعادته بأن يحتضن مبنى الاتحاد هذه الفعالية التي تعني برمزيتها الشيء الكثير لكل شريف ينتصر للقضية الفلسطينية، مؤكداً فشل مختلف محاولات تغييب هذه القضية عن وجدان أبناء الأمة، وفشل محاولات التطبيع مع هذا الاحتلال المتوحش، حيث سيبقى "يوم القدس العالمي" يوماً لنصرة فلسطين والشعوب السائرة في طريق الحق والتحرر.

تضمنت الفعالية إطلاق مجموعة من الكتب هي:

حكايات أثيرة (ثلاثة أجزاء)

من أبراج قلعة حلب

الجنرال الشهيد قاسم سليماني أيقونة المقاومة الفلسطينية

كما تضمن الحفل تكريم عدد من الشخصيات الثقافية والسياسية العاملة على تعزيز الفكر المقاوم.

للشعر العربي مهرجانه في فرع السويداء

بمناسبة يوم الشعر العربي دعا فرع اتحاد الكتاب العرب بالسويداء لحضور مهرجان شعري ظهر الأربعاء ٢٠٢٣/٤/٥ في قاعة المحاضرات بالفرع.

شارك في المهرجان السادة الشعراء: جهاد بكفلوني، رياض طبرة، فايز عز الدين، فرحان الخطيب، جودي العربيد، سهيل أبو فخر، إحسان قنديل، وائل أبو يزبك، ربيعة غانم، اسماعيل ركاب، رفعت بدران، حسين بو سعد، بشار عريج و ماجدة أبو شاهين.

حضر المهرجان الذي أدارت فعالياته أ. وجدان أبو محمود رئيسة الفرع المهندس أنور الحسنية رئيس مكتب الإعداد والثقافة والإعلام الفرعي وأ. ليلى أبو فخر مديرة الثقافة ومجموعة كبيرة من السادة الكتاب والأدباء والمثقفين والمهتمين ومتذوقي الجمال.

هو عرف سنوي دأب عليه فرع السويداء، حيث تتجلى القصائد بأبهى حللها في يوم عيدها، وفي هذه المناسبة تم تكريم كل من الشاعرين الأستاذ محمد حديفي والأستاذ موفق نادر تقديراً لتجربتهما الإبداعية الطويلة، وذلك بعد إحالتهما على التقاعد، كما قدم الفنان الأستاذ غسان قنديل لوحتين فنيتين للأديبين المكرمين عربون شكر منه لعطائهما.

«قالت الحرب» لنذير جعفر

ضمن سلسلة النصوص من إصدارات اتحاد الكتاب العرب بدمشق صدر كتاب جديد للأديب نذير جعفر حمل عنوان «قالت الحرب».

يضم الكتاب مجموعة من الشهادات والنصوص التي كُتبت خلال الحرب العدوانية الظالمة على وطننا الحبيب سورية، وهي تعكس مساراتها وآثارها والتضحيات العظيمة التي بذلها السوريون كي يبقى وطنهم موحّداً ويغلب على هذه الشهادات والنّصوص الطابع الأدبي الوجداني في مقاربة الحرب ومآسيها راصدة معجزة الصمود والثبات على المبادئ، والحفاظ على الأمانة التي سلمها لنا أبطال الجلاء،

وإذ تبدو المجالات التي تناولتها هذه الشهادات والنصوص متعددة وواسعة الاهتمامات والمرجعيات باتساع رقعة الحرب زمانا ومكاناً إلا أنَّ خيطاً رفيعاً يربط ما بينها ويحيلها على الموضوع الأساس وهو الحرب وتحديات المواجهة ثقافياً وإعلامياً وميدانياً، وتنطلق هذه النصوص والشهادات من الخاص إلى العام، مُركِّزة على تبدُّل النفوس والمواقف وما أحدثته الحرب من انكسارات ومفاجآت وَفقْد وأسى حيناً، ومن تفاؤل وابتهاج في دحر الإرهاب وممولّيه ومشغّليه حيناً آخر.

إن مدوَّنة الحرب العدوانية على سورية لم تُكتب بعد إلاّ في الجزء اليسير منها، وما هذه الشهادات والنصوص سوى محاولة لفهم ما جرى وتحليله واستنباط العبر منه وقد توزعت الموضوعات على ثلاثة أبواب: الأول: حلب أول القول.. آخر الرجاء، والثاني المشهد الثقافي في ظل الحرب، والثالث: مرايا الحرب وتداعياتها.

الذكرى الثانية
لرحيل الأديب والشاعر مروان الخاطر

كتب: عيد الدرويش

بمناسبة الذكرى الثانية لرحيل الأديب والشاعر مروان الخاطر أقام اتحاد الكتاب العرب بالتعاون مع أسرة الراحل ملتقًى ثقافياً في مقر الاتحاد بدمشق تضمن كلمات وقراءات ونصوصاً شعرية في حياته وتاريخه الثقافي العريق ومختلف أنواع كتاباته في الأدب والدراما.

وخلال الملتقى الذي أداره الشاعر توفيق أحمد قدم أدباء وشعراء وفنانون وإعلاميون شهادات تحدثوا فيها عن مسيرة الراحل شعراً وأدباً وتراثاً وذخيرة معرفية أغنت خزائن المكتبات المحلية والعربية إضافة إلى البرامج الإذاعية والتلفزيونية التي أصبحت مرجعاً وأرشيفاً للتراث العربي.

رئيس اتحاد الكتاب العرب الدكتور محمد الحوراني أوضح مدى التزام الراحل وعلاقته باتحاد الكتاب العرب وأعضائه نظراً لإخلاصه ووفائه وقدرته على كتابة الشعر الذي يحتوي على المكونات التي تشير إلى موهبة حقيقية، تدعمها ثقافة ومعرفة وعلاقات صادقة.

وباسم أسرة الراحل تحدث الدكتور حسين الخاطر عن دور أبيه في النهج الثقافي والإعلامي والأدبي الذي سلكه، وعن شعره العاطفي الصادق، ولا سيما أنه تعمق في المجموعة الكاملة ومراجعتها ومطابقتها وتدقيقها قبل نشرها، مبيناً التزامه بحب الوطن والإنسان لافتاً في الوقت نفسه إلى أن مجموعة الأعمال الشعرية الكاملة تضم بين دفتيها الدواوين السبعة السابقة مع إبقاء مقدمة الأعمال الشعرية التي كتبها المبدع عبد القادر الحصني عام 1994 والمقدمة التي كتبها المبدع علي كنعان عام 2022.

وألقى الخاطر على مسامع الحضور قصيدة مرثية الروح التي رثى الشاعر فيها نفسه من خلال حوارية بينه وبين ذاته ومنها:

وأنا الذي أرثيك
أم أنت الذي ترثي معي
خمسين من زمن الرداءة
في الزمان المفجع
أثقلت وزري
يا صفي الروح
دع للروح بعض صفائها
فلعل قبل الموت
يجلونا الصفاء
مرثيتي ضاعت لديك
وفيك كم ضاع الرثاء

وشكر الدكتور حسين الخاطر اتحاد الكتاب العرب على مبادراته اللطيفة خاصاً بالشكر رئيس الاتحاد الدكتور محمد الحوراني والأستاذ الشاعر توفيق أحمد الذي أدار الملتقى ونظمه ودار دلمون الجديدة من خلال الأستاذة عفراء هدبا على الجهود المبذولة في نشر كتاب الأعمال الشعرية الكاملة للراحل مروان الخاطر.

الباحث الدكتور شاهر المرير قدم قراءة في مستوى الشعر العريق الذي كتبه الخاطر، وفي مختلف الأشكال التي استخدمها وأهمها الشعر الموزون الذي عكس وجدانه وبراءة تعامله مع الواقع بينما بينت مديرة دار دلمون للطباعة والنشر عفراء هدبا أن انتقاء طباعة المجموعة الشعرية للراحل الخاطر شكل مفصلاً ثقافياً مهماً انطلق من دير الزور إلى الوطن العربي بمستوى عريق وإحساس صادق.

وتحدث الباحث الدكتور عبد الله الشاهر عن جماليات شعر الراحل وتأثره بالفرات ومنبته الجميل وتطوره مع تطور معرفته وثقافته وعلاقته بكل الجماليات، وفي الوقت عينه أشار الفنان والمخرج الإذاعي مازن لطفي إلى أهمية كتابات المبدع الراحل في السيناريو والدراما والإذاعة ومستواها الأدبي والمعرفي الرفيع، وكيفية تعامل الخاطر بمحبة وتواضع كبيرين ومحبة الجميع في الوسط الفني له.

الفنان فراس إبراهيم الذي تتلمذ على يد الراحل مروان الخاطر في طفولته بحكم عمل والده آنذاك بريف دير الزور، أبدى تأثره العميق بمنظومته الأخلاقية ومحبة طلابه له، مبيناً أنه ترك في حياته محبة كبيرة وذكريات لا تنسى على حين لفت صديق الراحل الشاعر أمير سماوي إلى تعامل الراحل الخاطر الوفي وسلوكه النجيب وارتباطه المخلص بأدبه ورفاقه وسلوكه الإداري.

وألقى الشاعر مزاحم الكبع ابن مدينة البوكمال مدينة الشاعر مروان الخاطر قصيدة شعرية التزم فيها الموسيقا واللغة والعاطفة المخلصة، معبراً عن محبته للراحل وعلاقته الوثيقة به ورقي أدبه ووفائه ومدى تأثيره بكل من عرفه موضحاً أن الراحل جال البيئة الفراتية بشكل خاص والسورية بشكل عام وترك رحيله فراغاً وأثراً كبيرين.

وفي قراءة مختصرة للأعمال الشعرية الكاملة لمروان الخاطر سنجد أنفسنا أمام رسالة شعرية لها بدايتها وخط سير واضح المعالم حتى النهاية، سيشعر بالترابط والتلاحم بالنغم الشعري منذ بدايته في مقتبل الشباب واستمراريته حتى آخر قصيدة نُظمتْ، الترابط ذاته نجده بالهمّ الإنساني والوجداني.

تبدأ الرحلة الشعرية بالناي الجريح الذي طبع عام 1962 ثم تلاه ديوان حمدان عام 1967 الذي طبع في مجلة الثقافة، ثم ديوان أصوات في سمع الزمن المقهور عام 1970 في دار أجيال بدمشق، تلاه ديوان نشيد الغربة في اتحاد الكتاب العرب بدمشق عام 1979، بعد ذلك أغاني الفرات عام 1994 ليضم بذلك الدواوين الستة في كتاب الأعمال الشعرية الذي طبع في دار الفكر بدمشق.

ومراثي الروح بعد ذلك، مجموعة شعرية تناولت قصائد الرثاء، طبعت هذه المجموعة بعد وفاة الشاعر الخاطر بعام واحد وذلك عام 2022 في دار الفكر بدمشق.

ومما طبع أيضاً للشاعر كتاب مختارات حيث اختار الشاعر قصائد أهداها لقرّائه قبل وفاته بشهور قليلة عام 2020 وتزامن ذلك مع رحيل رفيقة دربه وشريكة عمره زوجته.

قلّما يختار الشاعر بنفسه من أعماله مختارت، وكيف يختار ذلك؟ ولماذا؟ كأنما يختار من بستانه أجمل رياحينه، الشاعر يحب قصائده كلها، ولكن عند الاختيار سيختار القصائد الأكثر وقعاً في قلبه وذاكرته، والقصائد التي ارتبطت بشخصيات ومواقف ليست كباقي المواقف وليسوا كباقي الشخصيات في مسيرته الشعرية.

بلغ عدد قصائد مروان الخاطر 92 قصيدة توزّعت في سبع مجموعات شعرية، ففي المجموعة الأولى الناي الجريح 1962 نجد خمس عشرة قصيدة، وفي المجموعة الثانية حمدان 1967 نجد قصيدة مدخلية وثلاثة أناشيد، النشيد الثاني فيه ست قصائد، أي في المجموعة قصيدة مدخلية ونشيدان وست قصائد، وفي الثالثة أصوات في سمع الزمن المقهور 1970 أيضاً قصيدة مدخلية وأربع عشرة قصيدة، وست عشرة قصيدة في مجموعته الرابعة نشيد الغربة 1975،وفي المجموعة الخامسة أخاف عليك فابتعدي 1979 ست عشرة قصيدة، وفي السادسة أغاني الفرات ثلاث وعشرون قصيدة، وفي مراثي الروح آخر مجموعاته الشعرية 2022 ثماني قصائد، يضاف إليها قصيدة مرثية إلهام الموجودة في أغاني الفرات، التي طلب الشاعر ضمها أيضاً مرة أخرى للمراثي في مراثي الروح، وأود الإشارة إلى أنني أثبتها مرتين مرة في أغاني الفرات ومرة في مراثي الروح، ولم يكن في الأمر خطأ، إنما كُتب لهذه القصيدة أن تُكتب وتُقرأ مرتين، على ذلك فإن مجموع عدد القصائد اثنتان وتسعون قصيدة (92).

لا بد من الإشارة إلى أن أعمال مروان الخاطر الشعرية محطة لكثير من القضايا والدراسات النقدية التي تحفّز دارسي الأدب والنقد إلى كثير من النقاط، على سبيل الذكر لا الحصر:

التضمين والاقتباس، التناص، الابتكار في التصوير الفني، اللغة الشعرية، الحوار في القصيدة الشعرية، الرمز المباشر والرمز غير المباشر، جمالية الموت وشعريته، شعرية الرثاء، رثاء النفس والروح والقلب، فن الرسالة في القصيدة الشعرية الحديثة، الانزياح، شعرية المكان، التجريد والتشخيص، الاستحضار التراثي والتاريخي والديني، الهمّ العربي والوطني، وهموم الإنسان والطفولة، شعرية العنوان، وغيرها من النقاط الكثيرة.

وفي ختام الملتقى أهدت أسرة الأديب الراحل مجموعته الشعرية الكاملة للحضور الذي شمل أدباء ونقاداً وفنانين ومثقفين وإعلاميين.

الأسبوع الأدبي

12

العدد: «1816» الأحد 2023/4/30م
- 10شوال 1444 هـ

جريدة تعنى بشؤون الأدب والفكر والفن
تصدر عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق
أسست وصدرت ابتداءً من عام ١٩٨٦

المديـر المسـؤول:
د.محمد الحوراني
رئيس اتحاد الكتاب العرب

رئيـس التحريـر:
أ. توفيق أحمد

مديـر التحريـر:
منيـر خلف

أمينا التحرير:
عيد الدرويش، أوس أحمد أسعد

هيئة التحرير:
طالب هماش - د.جودت إبراهيم -
د.نزار بني المرجة -
معاوية كوجان - محمد الحفري

الإشراف الفني:
نضـال فهيم عيـسى

رئيس القسم الفني:
فاطمة الجابي

للنشر في الأسبوع الأدبي:
يراعى أن تكون المادة:
• غير منشورة ورقياً أو عبر الشابكة.
• منضدة ومراجعة ومدققة مع مراعاة التشكيل حين اللزوم، وعلامات الترقيم.
• ألا تتجاوز المادة المرسلة /800/ ثمانمئة كلمة.
• يرفق مع المادة CD أو ترسل عبر البريد الالكتروني
alesboa2016@hotmail.com
• يرفق مع المادة الصور المناسبة إذا لزم الأمر.

المراسلات
الجمهورية العربية السورية - دمشق -ص ب (3230)
هاتف 6117241-6117240 -فاكس 6117244 هاتف الاشتراكات 6117242
جميع المراسلات باسم رئيس التحرير.
www.awu.sy
E-mail : alesboa2016@hotmail.com

الآراء والأفكار التي تنشرها الصحيفة تعبر عن وجهة نظر كاتبها

كتبها: توفيق أحمد

عندما حَضَرَتْ داليدا

هي أكثرُ من جارةٍ للوادي والينابيع والدُّهول
تلك المدينةُ التي تصنَعُ الأحلامَ،
وواقعُها الساحرُ عالقٌ بأزليّةِ الزمن
يزدادُ ويزدانُ رسوخاً وازدهاراً
كنتُ أنتظرُ أَنْ تُطربَني المدينةُ
كما أَطْربَتِ الأمير أحمد شوقي
ولكنْ حسناؤُها داليدا
خَبَّأَتِ المدينةَ وحَضَرتْ هيَ
عندما قَفَزتُ من سيارةِ أصدقائي
غيرَ عابئٍ بالمعاييرِ القاصرةِ
فَتَحَتْ داليدا بابَ سيارتها الفارهةِ
ومثلَ أَرْنَبها أوْ قِطَّتِها أَجْلَسَتْني جوارَها
بمعنى أنها،
سَمَحَتْ للغزالِ الطائشِ بدخولِ مقصورتها
لا أَعْرِفُ مَنْ طغى على مَنْ
عِطْرُ أشياءِ الحافلةِ أم أشياؤها
الازدحامُ الهادئُ في المدينةِ
لم يسمح لأحدٍ أن يلتفتَ للمغامرةِ
وربما حضارتُهم وتمدُّنُهم أيضاً ساهم بالأمر
داليدا تحملُ أعلى شهاداتٍ مكتوبةٍ على الأوراق
لكنّها خَلَعَتْها كُلَّها أمامَ العاصفِ من حواري
انْتَفَضَتِ الأُنثى الكامنةُ في رحابِها
الساحرةُ في المدينةِ الساحرة
خلال ثوانٍ عَرَفتْ داليدا
هذا الطائرَ القادمَ من الشرق
قُلْتُ لها:
ليس بإمكانكِ أن تكوني ضوءاً
إلاّ إذا سافَرْتِ بين أصابعي
وعندما تتّحدين بي ستُصبحينَ قصيدةَ العصور
وورد الغاباتِ والمواسم والشَّكَ واليقين
قُلْتُ لداليدا:
اخْتَطفيني وسوف لن أُدافعَ عن نفسي
قالتْ:
سأتريَّثُ رغم أنَّ جَدَّتي أَوْصَتْني
بألاّ أُوَفِّر اختطافَ أيِّ متوحِّشٍ مجنون
وأَنْ أَبْني له منزلاً في أحضاني
رحلةٌ أقْصَرُ منْ رَفَّةِ العين
لكنَّها تحتملُ كتابةَ روايةٍ كاملةٍ
أبداً؛ لم نَنْسَ الحاج نيقولا
ذلكَ الهرمَ الذهبيَّ
صاحبَ أجمل الطقوس والشهامات
ولن ننسى كُلَّ أصحابِه
الذين أصبحوا أصحابَنا بجدارةٍ
كان الحوارُ حاداً وبريئاً وعنيفاً
كان الحوارُ نبيلاً وجريئاً وكاشفاً
لقد بَصَمْنا على كُلِّ عيوبنا
عَبْرَ آلافِ السنين
ولكن عندما حَضَرَت داليدا
وعندما انْهَمَرتْ على عيوننا قامتُها الزَّحلاويَّةُ
اسْتَقَيْنا من عِلْمِها القليلَ
ومِنْ سِحْرِها الكثيرَ
كانَتْ كالمطرِ الذي يُلْجِمُ اليابسةَ
ولكنّها لم تستطعْ؛
أن تُلْجِمَ رغائِبَنا
المُفَصَّلَةَ على قَدِّ المدينةِ
داليدا وكيلةُ الأمطار
والمجنونةُ التي توزِّعُ النُّضجَ علينا
تَحَدَّثْتُ لي عن جَدَّتها
التي نَدِمتْ على كُلِّ فَصْلٍ لم تَعِشْهُ جيداً
وعلى كُلِّ شابٍّ رأتْهُ جِوارَ الحديقةِ
ولم تُقَبِّلْ عينيهِ
وكأنَّ جدَّتها أَوْصَتْها بالاهتمامِ بي
كحظٍّ عاثرٍ أو عابرٍ
أو قادرٍ على احتواءِ جنونِها
قادرٍ على احتضانِ الفائضِ من أنوثتها
سَأَحْمِلُ لداليدا في الأيام القادمةِ
ياسمينةً من دمشق
وصفصافةً مِنْ على امتدادِ نهرِ العاصي
ووردةً جوريةً من روابي قريتي
سأُسْمِعُها قصائدَ جديدةً
كَتَبْتُها لأميرةِ شغافِ القلب
للَّتي لا تنامُ إلاّ على أصداءِ صوتي
للَّتي لا تُريدُ الحُبَّ إلاّ خارقاً وحارقاً
عزيزتي داليدا:
أنا مالحٌ كمياهِ البحر
وحُلْوٌ كالنّهار
ومُشْرِقٌ كالمنارات
ومُظْلِمٌ كبطنِ الحوت
أنْصَحُكِ ألا تغاري في قادمِ الأيام
فكثيرٌ من النسائم تَلْثُمُ جبيني
وكثيرٌ من الغواني يقطِفْنَ النارنجَ من حدائقي
ولستُ بحاجةٍ لكثيرٍ من الاختبار
علماً أنَّ كثيرَ الوضوح يَصْنَعُ الغموضَ
تَعَلَّمتُ أنْ أغْسِلَ رؤايَ بمياهِ ينابيعِ الجبال
وشارَكْتُ العصافيرَ والأعاصيرَ في قراراتِها
وعندما ستُرسِلُني مدينتي
إليكِ في وقتٍ قريب
أرجوكِ أن تستعدّي للإعصار
واغْتيالِ ورفضِ الخياراتِ
سآتيكِ على جناحٍ من غمامٍ
أَطيرُ بين القصائدِ والمجرَّات
فقولي لِنَحْلِ مدينتِكِ الساحرةِ
أن يَرِفَّ على شَهْدِ قلبي
الذي يَفْتَحُ شراييِنَهُ للزُّوَّار
ولعلَّكِ ستصحبينَ حِصاراً
لن أَطْلُبَ الخَلاصَ منهُ أبداً